الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف المسيلة

جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

كلية الآداب واللغات

قســـم اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي:

رقم التسجيل: م أ ع/2014/149: N°

الثورة في شعر مفدي زكرياء

إلياذة الجزائر -أنموذجا ـ

دراسة موضوعية وفنية

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر

الميدان: اللغة والأدب العربي فرع: أدب عربي تخصص: أدب جزائري

إعداد الطالبة:

✍ سلمى شريف

إشراف الدكتور:

✍ حمودي السعيد

تاريخ المناقشة:

أمام لجنة المناقشة:

- د. حمودي السعيد .....مشرفا
- مقيرش عثمان.....رئيسا
- شبلي خالد.....ممتحنا

السنة الجامعية: 1437/1436هـ - 2016/2015م

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

كلمات بالأشواق محملة ،وبأريج الزهور مطيبة ،وبمداد الحبر مسجلة وبلغة القرآن مدونة أبعثها مع النسمة العليلة ،والروح الطاهر الزكية أرسلها إلى خير الأنام ،إلى كل من ضحى بكل ما لديه لرفع راية الإسلام ،إلى سيد المرسلين ،عليه أفضل ،وأزكى السلام .

إلى منبع الحنان أغلى وأحب إنسانة في الوجود إلى من سهرت الليالي من أجل راحتي فكانت الشمعة التي أنارت دربي وطريقي إلى التي حملتني تسعا وربتني دهرا، ودعاؤها سر نجاحي

أمي العزيزة "مسعودة شريف "حفظها الله .

إلى رمز النبل ومنبع العطاء وأغلى إنسان في الوجود فكان نعم المعلم وخير أستاذ

أبي العزيز"عمر "حفظه الله.

إلى إخوتي وأخواتي "جمال الدين "،"بلال "،"عبد الغفور "،عبيرة "،"هاجر".

إلى الفكاهي ،القلوق بأفكاره والصارم بقرارته جدي "الحاج رابح شريف ".

إلى خالي "الدهيمي "رحمه الله،وأخوالي وأعمامي وكل من تطربطني بهم صلة قرابة .

إلى خالتي "يمينة "وعائلتها وبالأخص إبنتها "عبلة".

إلى أعز أصدقاء الطفولة :راضية ،وسام ،وداد ،سارة ،رفيدة ،بريزة ،أم الوفاء.

إلى رفقاتي في الإقامة: فهيمة ،عبير ،هجيرة ،أسماء ،إيمان ،أميرة ،زهرة،نورة.

إلى جميع الذين منحوا لي ذرة علم من الطور الإبتدائي إلى الجامعي .

إلى كل طلبة الأدب العربي "الفوج الأول" تخصص "الأدب الجزائري"دفعة 2016".

إلى كل من رأتهم عيني وأحبهم قلبي ونسيهم قلمي إلى سكان بلدية عين الخضراء(التوتات)

وخلاصة الكلام بأن الدنيا خمس :(السعادة ،الحزن ،النجاح ،الحب ،الذكرى)،الأولى أتمناها لكم ، الثانية أرجو أن لا تصيبكم، الثالثة فسعوا إليها، الرابعة مني إليكم ،الخامسة تذكروني بها.

سلمى شريف

كلمة شكر وعرفان

قال الله تعالى: "وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما" .

سورة النساء الآية 113

أحمد ربي حمد الشاكرين، وأحمدك ربي على توفيقك لي، ومدي بالقوة والعزم لإنهاء هذا العمل المتواضع

وأتقدم بكل آيات الشكر وكلمات الحب والعرفان للوالدين الكريمين، فهما أصحاب الفضل الكبير لما وصلنا إليه من درجات العلم

واقتداءا بقوله صلى الله عليه وسلم: "من لم يشكر الناس لم يشكر الله"

صدق رسول الله

وأتقدم بشكري الجزيل إلى كل من قدم لي يد العون من قريب أو من بعيد في إنجاز هذا العمل المتواضع وإتمامه ولو بنصيحة، ونخص بالذكر الدكتورالمشرف (حمودي السعيد) لما قدمه لي من توجيهات ونصائح قيمة فله خالص التقدير والاحترام

كما لا يفوتني أن أتقدم بفائق التقدير وجميل العرفان لكل أساتذة قسم الأدب العربي

سلمى شريف

مقدمة:

الأدب الجزائري أدب خصب ثري ثراء موضوعاته، وأشكاله المتعددة، تناولته أقلام كثيرة من زوايا مختلفة، وتصورات متعددة، وطروحات متباينة أحيانا ومتقاربة في الكثير من الأحيان، غير أن هذا في نظرنا لم يكن كافيا يستطيع أن يلم بقضايا أدبنا وخاصة الإتجاه الثوري منه، ومن الأسباب والدوافع التي حفزتني إلى الدراسة في موضوع إلياذة الجزائر لمفدي زكرياء إلا أن جل الدراسات انصبت حول مواضيع الرواية وغيرها لذلك ارتأيت أن أدرس في موضوع الشعر الجزائري الثوري، وأن أساهم رغبة مني في إضافة ما يمكن إضافته في بيان وتوضيح بعض الطروحات التي بدت لي غير واضحة، وتصحيح بعض النقص، فاستقطبتني شخصية أدبية ذاع صيتها مشرقا ومغربا من خلال الإلياذة، وهذا ما دفعني إلى طرح هذه الإشكالية التي أراها تستحق الدراسة:

- إلى أي مدى وفق الشاعر مفدي زكرياء في توظيف آلياته الفنية توظيفا ثوريا؟
- ماهي الجوانب الفنية البارزة التي استطاع من خلالها الشاعر استقطاب الشرائح الاجتماعية إلى إذكاء الروح الثورية واعتناقها في القرى والمداشر بعد الاستقلال ؟

بهدف التعريف بالمفاهيم الموظفة وتسليط الضوء على المصطلحات المتداولة في الممارسات والكتابات الأدبية ورصدها، لأستكشف الإضافات في ذلك، وبدافع الإقناع وبمعية الأستاذ المشرف وجدنا أنفسنا تواقين إلى إشباع هذا الطموح من خلال ما اهتدينا إليه في رسم هذا العنوان: الثورة في شعر مفدي زكرياء إلياذة الجزائر –دراسة موضوعية وفنية –وهوالعنوان الذي نعتقد أنه يرسم المعالم المحددة للمنهج المتبع في هذا البحث وتصوره العام ويتكون البحث من مقدمة ومدخل وفصلين وخاتمة، فالمدخل خصص لمفهوم الملمحة لغة وإصطلاحا، خصائص الملمحة، لمحة عن إلياذة الجزائر، لمحة عن حياة الشاعر، أما الفصل الأول والمعنون بدراسة موضوعية لإلياذة الجزائر، حاولت فيه أن أبرز أهم المواضيع والقضايا التي تناولتها الإلياذة فهي مقسمة إلى ثلاثة مواضيع: جغرافية الجزائر والإبداع الإلهي، بطولات الجزائر عبر التاريخ: {التاريخ القديم، التاريخ الوسيط، التاريخ الحديث والمعاصر}، رصد الأوضاع الاجتماعية ونقدها.

أما الفصل الثاني والموسوم بدراسة فنية لإلياذة الجزائر درست فيه بعض الأدوات الفنية التي استعملها الشاعر في إلياذته من لغة وأسلوب، صور فنية، موسيقى شعرية بنوعيها الداخلي والخارجي، ثم ختمت البحث بخاتمة تحمل أهم النتائج التي توصلت إليها، أما المنهج الذي استعنا به في معالجة القضايا المطروحة تراوح بين الوصفي التحليلي الذي يهدف إلى الكشف عن المعاني الثورية وصورة البطولة والفداء التي تبهر الإنسان وبشعريته الرفيعة التي تمتاز بالثقافة الموسوعية التي تخصبت الكلمات في تناصها مع القرآن الكريم الذي كان الغاية المثلى للشاعر مفدي زكرياء وقد انصهر به فذاب أحدهما في الآخر إيمانا بحتمية الانتصار وبين التاريخي في كثير من الأحيان لحاجتنا إلى تتبع الظاهرة زمنيا وفنيا.

أما فيما يخص الصعوبات التي صادفتنا فلم تكن هناك صعوبات عويصة غير أن هناك تشعب في الموضوع وتتبع الظواهر الفنية التي تنوعت في الإلياذة، فقد اعتمدت في المصادر على : إلياذة الجزائر لمفدى زكرياء وعلى بعض المراجع التي تتعلق بالأدباء الجزائريين منها: بليحيا الطاهر تأملات في إلياذة الجزائر، حواس بري شعر مفدي زكرياء دراسة وتقويم، محمد ناصر مفدى زكرياء شاعر النضال والثورة وغيرها من المراجع الأخرى .

ولايسعني هنا إلا أن أتوجه بأسمى معاني الشكر والإمتنان والتقدير للمشرف الدكتور حمودي السعيد على رعايته لهذا البحث وكان له كثيرالفضل في تذليل كل صعب وترشيد كل عصي حيث حباني بتوجهاته القيمة ونصائحة المفيدة فله مني كل الشكر الإمتنان وإلى كل من ساعدني من قريب أوبعيد.

الملحمة فن من الفنون الأدبية الضاربة في القدم والممتعة التي تحكي بطولات وأحداث تاريخية، تنقل الفكر البشري من محطة إلى أخرى، ومن عصر إلى عصر، كما تحدث في نفسيته آثارا متنوعة، إذ يعيش صراعا مع أحداث ومغامرات وخوارق العادات.

1- تعريف الملحمة

أ-الملحمة لغة:

جاء في لسان العرب لابن منظور: الملحمة جمع ملاحم أي الوقعة العظيمة " القتل وألحمت القوم إذ قتلتهم حتى صاروا لحما، وألحم الرجل إلحاما، وإستلحم إذا نشب في الحرب، فلم تجد مخلصا، والملحمة هي الحرب ومكان القتال الشديد".[1]

وقيل أيضا هي: "الموقعة العظيمة القتل في الحرب، نقول تلاحم القوم، أي تقاتلوا كما يدل مصدرها على معنى الإحكام بمعنى الفصل والفري نقول: لحم الأمر أحكمه، وألحم الشعر: نظمه فهو ملحم، والقصيدة ملحمة إذا كانت مترابطة محكمة ".[2]

ومنه أيضا لغة: "فالملاحم جمع ملحمة، على وزن مدرسة ومحكمة، والملحمة: الوقعة العظيمة من وقائع الحروب التي يتلاحم فيها الجيشان.

يقول **بشار بن برد:**

في كل يوم لنا عيد وملحمة حتى سبانا بأسياف وأغماد ".[3]

---

[1] – ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ج 5، د.ط، 1991، ص537.

[2] – محفوظ كحوال، فن الملاحم –الأصول، النشأة، التطور –، أود يسة هوميروس، دار نوميديا للطباعة، قسنطينة، د.ط، 2009، ص03.

[3] – محمد شوقي أمين، الملاحم بين اللغة والأدب، مجلة عالم الفكر، وزارة الإعلام، الكويت، مجلة 16، ع01، أفريل مايو، يونيو 1985، ص228.

ب –الملحمة إصطلاحا:

الملحمة" فن كباقي الفنون الأدبية الأخرى، المسرحية، القصيدة، القصة، الرواية، المقامة، المقالة...الخ، وتختلف عن كل هذه الفنون كونها قصة شعرية قومية بطولية خارقة".[1]

كما يمكن تعريف الملحمة من وجهة نظر أخرى بأنها: "مزيج من الحقيقة والخيال أو كما قال **فكتور هيجو**: الملحمة هي التاريخ على أعتاب الأسطورة ".[2]

وللملحمة أكثر من مفهوم ومن ذلك أنها تعد: "قصة شعرية موضوعها وقائع الأبطال الوطنيين العجيبة التي تبوؤهم منزله الخلود بين بني وطنهم، ويلعب الخيال فيها دورا كبيرا، إذ تحكى على شكل معجزات ما قام به هؤلاء الأبطال، وما تسمو على الناس، وعنصر القصة واضح في الملحمة فالحوادث تتوالى متمشية مع التطورات النفسية التي يستلزمها تسلسل الأحداث ".[3]

وبهذا فالملحمة جنس أدبي قائم بذاته لها مقوماتها الأساسية الفنية المتعارف عليها عبر التاريخ.

2-خصائص الملحمة:

للملحمة خصائص كثيرة تميزها عن باقي الأجناس الأدبية الأخرى منذ القديم إلى يومنا هذا وهي كالتالي:

1- شعر الملحمة موضوعي أي لا تظهر فيه شخصية الشاعر، وإنما تظهر فيه الجماعة ومشاعرها العامة.

2- أنه يصور البطولات، والمعارك الحربية الممتزجة بالأساطير المثيرة للمشاعر.

---

[1] – محفوظ كحوال، المرجع السابق، ص3.

[2] – محفوظ كحوال، الأجناس الأدبية، دار نوميديا، قسنطينة، د.ط، 2007، ص167.

[3] – محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار العودة، بيروت، ط1، 1982، ص93 .

3- قصائد الملحمة طويلة، قد تصل إلى الآلاف من الأبيات.

4- تظهر الملحمة في شعوب السرديات الكبرى، التي تعتمد على حضارة المشافهة، حيث تجمع هذه الشعوب بين الحقيقة والخيال وخوارق العادات، وتمزج بينهما في أسلوب أسطوري تتجلى فيه الوحدة العضوية.

5- شعرها يسير في محتوى واحد، لأنه أسلوب المؤلف يرويه بطريقة الحكاية.

6- الحكاية في الملحمة هي العنصر المسيطر على بقية العناصر، ولا تخلو من استطراد وعوارض الأحداث.[1]

يتبين مما سبق أن الملحمة عمل قصصي بالدرجة الأولى وتروي شعرا، وتكون تامة من حيث تمجيد الأبطال، وتمتاز بالخوارق وأسلوبها يمتاز بالحوار والأخبار والوصف ولا تهمل الملحمة العنصر الديني، كما أنها تقدس التاريخ.

وبهذا نستطيع تصنيف إلياذة الجزائر من الملاحم.

3- لمحة عن إلياذة الجزائر:

تعتبر إلياذة الجزائر سجلا تاريخيا بطوليا للثورة الجزائرية، وستبقى مرآة عاكسة لأحداثها، وهي أكبر ملحمة تاريخية لتمجيد الأبطال، والتغني بآمالها وآلامها، ومن أروع المآثر الخالدة التي وصفت الثورة الجزائرية ببطولاتها التاريخية.

وقد نشأت الإلياذة من فكرة اقترحت في آخر الملتقى الخامس للتعرف على الفكر الإسلامي في وهران، سنة 1971، أعلن أن الملتقى السادس سينعقد بعاصمة الجزائر بمناسبة العيد العاشر لاسترجاع استقلالنا، والذكرى الألفية لتأسيسها مع المدية ومليانة على يد **بلكين بن زيري**.[2]

[1] – محمد رمضان الجربي، الأدب المقارن، دار الهدى، الجزائر، 2002، ص، 83، 84.

[2] – مفدي زكريا ء، إلياذة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط1، الجزائر، 1987، ص09.

وقد ركز جدول أعمال هذا الملتقى على التاريخ لمراجعته، وكتابته من جديد، وتصفيته من جميع ما علق به من شوائب وتزييف، لمعرفة ماضينا، والاستفادة من تجاربه في بناء حاضرنا ومستقبلنا، في الجزائر والمغرب الكبير، والعالم الإسلامي الأوسع.

حيث يقول الشاعر مفدي زكرياء:

ويا ملتقى فكر إسلامنا ومجلى قداسة إيماننا[1]

ولقد قام مفدي زكرياء شاعر الثورة الجزائرية بجمع الأناشيد كلها، ويشمل فيه تاريخ الجزائر من أقدم عصورها حتى اليوم، مركزا على مقاومتنا لمختلف الإحتلالات الأجنبية وعلى العهود الحضارية الزاهرة المتعاقبة.

وقد تحمس مفدي زكرياء لفكرة نظم هذه الإلياذة بمجرد أن تلق رسالة **مولود قاسم نايت بلقاسم**، سنة **1972**، وعبر عن الاستعداد المطلق لتنفيذها.

وبتعاون كل من المرحومين: **مفدي زكرياء** و**عثمان الكعاك**، **مولود قاسم نايت بلقاسم**، بالحوار الذي يجري عن تاريخ الجزائر بالذات وبصفة خاصة، وعن التاريخ المغربي والتاريخ الإسلامي بصفة عامة.[2]

هكذا نشأت إلياذة الجزائر، ونمت وترعرعت، ووصلت في ظروف بضعة أشهر وأنشدها بصوته وصرخاته المدوية المأثرة، في افتتاح الملتقى السادس للفكر الإسلامي يوم 24 يوليو 1972، ولقد شغلت الإلياذة الكثير من الباحثين والدارسين أمثال: **محمد الشريف مساعدية**، **الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي**، كما حضر جزءا من إنشادها الرئيس المرحوم **الهواري بومدين**، آنذاك، وعبر عن إعجابه بالأثر الخالد لأنها أجمل وأكمل صياغة لتاريخها.

[1] – مفدي زكرياء، إلياذة الجزائر، ص111.

[2] – المصدر نفسه، ص 9، 11.

وكان لتسميتها بالإلياذة لما لها من نظير في إلياذة **هوميروس** غير أن الفارق بينها كون إلياذة الجزائر لها طابع إسلامي روحي رباني، تحاكي أبطال التاريخ الإسلامي عهد النبوة مرتبطا بأحداث الثورة التحريرية.

فستبقى إلياذة الجزائر أروع تاريخ للجزائر، وأكثر وقعا في النفوس، وأسهلها على الحفظ والتذكر والاستشهاد.[1]ونظرا لأثرها الخالد وصوتها المتردد في المحافل والمناسبات إرتأيت أن أشيد بشخصية قائلها في سطور.

3- لمحة عن حياة الشاعر مفدي زكرياء:

-اسمه زكرياء لقبه الشيخ، اشتهر بمفدي، وهولقب أطلقه عليه في تونس أستاذه **الحطاب بوشناق.**

- ولد بمدينة بني يزقن سنة 1326 هـ /1908م.

- انتقل مع والده إلى عنابة وأقام بها سنة 1955 إلى غاية 1922.

- سافر إلى تونس سنة 1922 للدراسة ورجع إلى الجزائر سنة 1926، نشاطه في حركة الوطنية وفي ثورة التحرير.

-وفي سنة 1934 ألقى خطابه المشهور بعقيدة التوحيد في قاعة الخلدونية بتونس في المؤتمر الرابع للطلبة شمال افريقيا.

تولى رئاسة اللجنة التنفيذية لحزب نجم شمال إفريقيا سنة 1936.

-أنتخب أمينا لحزب الشعب ورئيس اللجنة التنفيذية، عند تأسيسه في مارس سنة 1937.

-في سنة 1949 انضم إلى حركة انتصار الحريات الديمقراطية.

- انضم إلى جبهة التحرير الوطني، وألف نشيد "قسما " سنة 1955.

- فر إلى المغرب ومنها إلى تونس منهك القوة بفعل التعذيب والمعاناة في السجون في وتولى علاجه في تونس، الطبيب الثائر "فرانز فانول" سنة 1959.

[1] - مفدي زكريا ء، إلياذة الجزائر، ص12، 13 .

– سافر سنة إلى المشرق لأول مرة ممثلا الجزائر في مهرجان الشعر العربي بدمشق، وأصدر ديوانه اللهب المقدس كما زار عدة بلدان عربية.

– قبل الاستقلال أقيم حفل تكريم كبير في تونس، عند صدور ديوانه اللهب المقدس.

–عاد سنة 1962 إلى الجزائر.[1]

–استقر سنة 1963 في تونس حتى 1969 حيث استقر بالدار البيضاء بالمغرب.

–وجهت السلطة الفرنسية إليه سنة 1936 تهمته التآمر على أمن الدولة وأصبح مضايقا بسبب إلقاءه لمحاضرتين باسم النجم في مدينة البليدة، ثم حل حزب النجم في السنة التالية.

–وسجن في السادس عشر من جويلية سنة 1937 إلى سنة 1939.

– في السنة الموالية لخروجه، أعيد إلى السجن لمدة ستة أشهر بتهمة المساس بأمن الدولة.

– بعد أحداث 08 ماي 1945 دخل السجن لمدة ثلاثة أشهر وبقي متابعا من طرف الفرنسيين، وتم سجنه سنة 1949 بسبب انضمامه لحركة انتصار الحريات، وأعيد سجنه لمدة ستة أشهر.

– وفي سنة 1957 حكمت عليه المحكمة العسكرية بغرامة مالية ومصادرة أمواله والسجن ثلاث سنوات، وهكذا عاش مفدي زكرياء تحت الرقابة الفرنسية والمضايقات المتوالية، وسجنته السلطة الفرنسية مرارا ذاق خلالها الويلات والآهات.

– توفي في مدينة تونس يوم 17أوت 1977.

– وصل جثمانه إلى مطار الجزائر بالعاصمة يوم 21أوت 1977.

–شيعت جنازته في مسقط رأسه بمدينة بني يزقن ووري التراب في مقبرة بها.[2]

حيث يقول الشاعر مفدي زكرياء:

تقدس واديك، منبع عزي ومسقط رأسي، والهـــام حسي

[1] – حسن فتح الباب، ثورة الجزائر في إبداع شعر اء مصر، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 2005، ص565.

[2] – المرجع نفسه، ص566.

وربض أبي، ومرابع أمي ومغنى صباي، وأحلام عرسي.[1]

-لقد اغترف مفدي زكرياء وإرتوى من ينابيع صافية كان لها الأثر الثقافي في تكوين شخصيته، ومن أهم تلك الروافد: -

1- القرآن الكريم.

2- التراث العربي الإسلامي.

3- البيئة المحافظة، ومحيطه الثقافي.

4- تأثره بأساتذته مثل الحطاب بوشناق ورحلاته المتكررة.

مؤلفاته: ترك مفدي زكرياء ميراثا ثقافيا نذكر منه:

1- اللهب المقدس صدر سنة 1961.

2- تحت ظلال الزيتون صدر سنة 1965.

3- من وحي الأطلس 1976.

4- إلياذة الجزائر فيها ألف بيت وبيت سنة 1972.

5-أمجادنا تتكلم.

6- أهازيج الزحف المقدس.

7- إنطلاقة.

8- الخافق المعذب.

9 - الأناشيد الوطنية (النشيد الوطني الجزائري، نشيد التحرير الوطني، نشيد المرأة الجزائرية).[2]

[1] - مفدي زكريا ء، إلياذة الجزائر، ص35 .

[2] - مفدي زكرياء، ديوان اللهب المقدس ، طبع بالمؤسسة الوطنية للفنون الأدبية، الجزائر، 2007، ص10.

إن موضوع الإلياذة بصفة عامة هوالجزائر "بطبيعة جمالها وتنوع تضاريسها وتكامل للصور الكونية فيها، وحب الجزائر والدفاع عنها، وحمل راية حمايتها من قبل أبنائها الأبرار منذ البداية الأولى حتى تاريخ ثورة الجزائر المجيدة، كما جاءت إلياذة الجزائر تحفيزا لمبادرة الملتقى الإسلامي الخامس، الذي دعا للحفاظ على تاريخ الجزائر وكتابته كتابة صحيحة خالية من شوائب التدوين غير المدروس".[1]

كما تحتوي الإلياذة على ألف بيت وبيت وتنقسم إلى ثلاثة مواضيع أساسية هي:

1-جغرافية الجزائر والإبداع الإلهي .

2- بطولات الجزائر عبر التاريخ: (التاريخ القديم، التاريخ الوسيط، التاريخ الحديث والمعاصر).

3- رصد الأوضاع الإجتماعية ونقدها .

المبحث الأول: جغرافية الجزائر والإبداع الإلهي

يدور هذا القسم حول الإبداع الإلهي للوطن، شمالا وجنوبا وشرقا وغربا .

فالجزائر وطن الطبيعة الخلابة وجمالها الأخاذ، والشمس المشرقة، والمنابع المتفجرة، ومعانقة الحضارتين: الصحراء بملامحها العربية العريقة، والسواحل بحضارتها الأوربية الحديثة، وعروسا للإلهام، وخير دليل على ذلك الاستهلال الذي يبدأ به الشاعر الإلياذة برحابة الكون وجمال الطبيعة وميلاد المعجزة حيث يقول:

جزائر يا مطلع المعجزات ويا حجة الله في الكائنات
ويا بسمة الرب في أرضه ويا وجهه الضاحك القسمات
ويا لوحة في سجل الخلود تموج بها الصور الحالمات .[2]

[1] - سارةحسين جابري، أعذب قصائد مفدي زكرياء، دار العوادي، د.ط، 2014، ص14، 16.

[2] - مفدي زكريا ء، إلياذة الجزائر، ص19.

فالجمال الذي تتمتع به حبي الأبدي، أمي الثانية، صاحبة الفضل علي، الأرض الخصبة ذات الخيرات والثمار كان سببا في جلب الغزاة إليها إعجابا بسحرها الفاتن حيث يقول:

جزائر يا لحـــــــكاية حبي ويا من حمـلت السلام لقلبي

ويا من سكبت الجمال بروحي ويا من أشعت الضياء بدربي .[1]

ويواصل مفدي زكرياء الاستجلاء الجمالي لأرض الوطن وعن غرامه لهذه الجنة الخالدة:

جزائر يا بدعـــــة الفاطر ويا روعة الصانع القادر.

ويا جنة غار منها الجنان وأشغله الغيب بالحاضر.[2]

وشدة تعلق الشاعر بما يحمله قلبه من ذكريات عن وطنه، وأشرب حب الوطن حتى الثمالة، وسقي بالعقيدة حتى السكرى، ويربط بين الدين والأرض القدسية التي يرقى بحبها إلى درجة العبودية مثل هذا الوصف :

فلولا جمالك ما صح ديني وما أن عرفت الطريق لربي

ولولا العقيدة تـغمر قلبي لما كنت أومن إلا بـــشعبي[3].

ترتبط الإلياذة دائما بمسيرات النضال والتحدي، للاستعمار وبذلك تعتبر تخليدا أوتصويرا لكبريات الأحداث والوقائع التاريخية، لأن كل شبر من هذه الأرض يروي لنا قصة بطولة التي قال عنها في البداية أنها جميلة .

[1] – مفدي زكريا ء، إلياذة الجزائر، ص 21.

[2] – المصدر نفسه، ص 20 .

[3] – المصدر نفسه، ص 21.

ففي كل درب لنا لحمة مقدسة من وشاح وصلب

وفي كل حي لنا صبوة مرنحة من غوايات صــب

وفي كل شبر لنا قصة مجنحة من سلام وحــرب .[1]

فيعود مرة أخرى إلى تمجيد الجزائر، وإبراز مظاهر الجمال فيها فيقول:

جزائر أنت عروس الدنا ومنك استمد الصـــــباح السنا

وأنت الجنان الذي وعدوا وإن شغلونا بطيـــب المنـــى

وأنت الحنان، وأنت السما ح، وأنت الطماح، وأنت الهـــنآ

وأنت السمووأنت الضمي ر، الصريح الذي لم يخن عهدنا

يدعوالشاعر كل الشعوب العربية والإسلامية إلى الإتحاد والتضامن والتراحم ولا يترك أي خلاف بينها يؤدي إلى التفرقة لأننا أمة وحدنا الإسلام حيث يقول الشاعر :

وعبدت درب النجاح لشـــعب ذبيح فلم ينصهر مثلنا

ومن لم يوحد شتات الصفوف يجعل به حمــقة للفنا.[2]

هذا مقتبس من حديث المصطفى عليه الصلاة والسلام: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضوتداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى)[3]، فالشاعر كان يغرف من ينابيع الدين الإسلامي، ومبادئه السمحة، ومتأثرا كثيرا بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف يقتبس من ألفاظهما ومعانيهما، فجاءت الإلياذة بطابع ديني ملفت للنظر معنى ولفظا .

[1] – مفدي زكرياء، إلياذة الجزائر، ص21.

[2] – المصدر نفسه، ص22.

[3] – صحيح مسلم، ج 4، ص 1999.

بعد "وصف الشاعر لطبيعة الجزائر، وأماكنها الجغرافية، وتحدث عن ربوع الجزائر كاملة ينتقل إلى التخصيص، ويستهل حديثه بالجزائر العاصمة (أم إفريقيا)

إذن الشروع في تقسيم مناطق الجزائر إلى جنات ساحرات يستهله من عروس المدن (الجزائر)" .[1]

سل البحر والزورق المستها م كأن مجـــاذيفه قلب شاعر

تباركه أم إفريـــــــــــقيا على الصلوات العذارى السواحر

ويذكر مناطق مدينة الجزائر مكانا مكانا، فمن القبة إلى حيدرة إلى القصبة إلى ساحة الشهداء .

وسل قبة الحــور نم بها منار على حـــــورها يتآمر

سل الورد، يحمل أنفاسها لحيدر مثل الحـظوظ البواكر

وأبيار تزهو بقدســـــيها رفائيل يخفى انسلال الجآذر

إلى أن يقول:

ويحتار بلـــــــكور في أمرها فتضحك منه العيون الفواتر

وفي القصبة امتد ليل السهارى ونهر المجرة نشـــوان ساهر

وفي ساحة الشـــهداء تعالى مآذن تــجلو عيون البصائر .[2]

ويسترسل مفدي زكرياء في وصف وإشادة ربوع وطنه وبمفاتن بلاده من قلب الجزائر العاصمة وأحيائها ينتقل إلى أعظم سلسلة جبلية في الجزائر والتي تمتد على طول المغرب العربي وهوالأطلس العملاق.

سل الأطلس الفرد عن جرجرا تعالى يشد السما بالثرى

[1] – بليحيا الطاهر، تأملات في إلياذة الجزائر لمفدي زكرياء، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر د.ط، د.ت، ص63 .

[2] –مفدي زكرياء، إلياذة الجزائر، ص23 .

فيختال كبرا تنافـــــــــسه ثقجدا فلا يرجع القهقرى .

ثم نرحل إلى ربوع الشرق انطلاقا من جبال الأوراس، مهد الصمود والبطولة والتضحية، وتضاريس الواقع الثوري، ورمز أصالة الوطن والأمة العربية والحرية .

وتسمو بأوراس أمـــــــــجاده فتصدع في الكون هذا الورى

أما وحد الأطلس المغربي معا قلنا، بوثيق العرى[1].

ينتقل الشاعر إلى الحديث عن الأماكن والأحياء والمناطق التي لها ذكريات وآثار أثناء فترة الثورة .

ففي باب الوادي ذكرى تبدوأنها جد عميقة في نفسه فقد كانت مركز ثورة قلبه، أين كان مع أصدقائه من الشعراء المثقفين يفرغون مكنوناتهم وإلهامهم .

وفي باب واديك أعمق ذكرى أعيش بأحلامها الزرق دهرا

بها ذاب قلبي، كذوب الرصا ص، فأوقد قلبي وشعبي جمرا

وثورة قلبي، كثورة شـعبي هما ألهماني، فأبدعت شعرا .[2]

ثم ينتقل إلى القصبة، وما اشتهرت به تلك الأزقة الضيقة والبنايات العتيقة، الملتفة حول نفسها، الحاملة للكثير من الأسرار، حيث كانت ملجأ المجاهدين الذين كانوا يصوغون بين جدرانها القرارت الرافضة لأعمال المستعمر

سجا الليل في القصبة الرابضه فأيقظ أسرارها الغامضـــه

وبين الدروب وبيـــــــن الثنايا عفاريت مائجة، راكـــضه[3]

وملء سراديبـــــــــها الكافرا ت، تصاغ قراراتنا الرافضه

[1] – مفدي زكرياء، إلياذة الجزائر، ص 24.

[2] – المصدر نفسه، ص25.

[3] –المصدر نفسه، ص27..

وينقل لنا الشاعر بعض الأماكن الأثرية مثل حمام ملوان الذي كان قديما مكانا للهووالمجون، وكان ولا يزال محطة للتداوى حيث يقول:

وحمام ملوان مل المجـونا وأنهى غواتـــيه والفتونا.

وأفضل خوض الحمام بديلا عن المستحمات والعائمينا.

وقد عاش دربا لحلوالأماني فأصبح دربا يلاقي المنونا[1].

وهكذا نجد مفدي زكريا ينقلنا من موطن إلى آخر في وصف تلمسان ووهران جاء قوله:

أمانا ربوع الندى والحسب أمانا تلمسان، مغنى الأدب

تماوج وهران في أصغريك وفاس، فأبدع فيك النـــسب [2]

ويعود مرة أخرى إلى وسط البلاد وإلى البليدة مدينة الورود:

كأن البليدة للورود تفشي حديث الغرام، فيـــزداد لهفا.

وتهفوالمدية شـــوقا إليه تطارحه صفوة الكأس صرفا [3]

ثم يصل إلى ميزاب حيث يجعل له حفاوة خاصة، فهومسقط رأسه، ومنبع إلهامه، وأرض طفولته وتراب عشيرته، وأحفاد من ركزوا السيادة للجزائر (بني رستم):

تقدسك واديك، منـــبع عزي، ومسقط رأسي، وإلهـام حسي

وربض أبي ....ومرابع أمي ومغنى صباي، وأحلام عرسي

وفخر الجزائر، فيك تـناهت مكارم عرب، وأمجاد فـــرس

وأحفاد أول مـــــن ركزوا سيادة أرض الجزائر أمـــس[4].

---

[1] – مفدي زكريا ء، إلياذة الجزائر، ص 29.

[2] – المصدر نفسه، ص33.

[3] – المصدر نفسه، ص34.

[4] – المصدر نفسه، ص35 .

وفـي الأخيـر يعـرج إلـى الجنـوب الجزائـري وإلـى الصـحراء الشاسـعة ذات الرمـال الذهبيـة والصافية وباطن الثروات والخيرات:

ألا .....ما لهذا الحساب ....ومالي؟ وصحراؤنا ....نبع هذا الجـــمال

هنا مـــــــــــهبط الوحي للكائنا ت، حيال النخيل .....وبين الرمال

ومهد الرســـــــــــــالات للعالم ين، ونور الهدى، ومصب الكـمال

هنا العبقريات والمعـــــــــــجزا ت، وصرح الشموخ، وعرش الجلال ؟[1]

وبعد إسهابه عن جمال طبيعة الجزائر ومناطقها نقطة، نقطة، وما امتازت به كل جهة من ربوع هذه الأراضي الفسيحة، ويهمس في خفت بأنه يحب ويتعشق كتلة الوطن كاملة وأنها جزء واحد كالجسد الواحد فشرقها وشمالها، وجنوبها وغربها، ووسطها كل شيء منها جميل، وله ميزته الخاصة وسحره الجذاب [2].

فيا أيها الناس ....هذه بلادي ومعبد حبي، وحلم فـــــؤادي

وإيمان قلبي وخالـــص ديني ومبناه ....في ملتي، واعتقادي.

بلادي أحبك، فوق الـــظنون وأشد وبحـــــبك، في كل نادي

عشقت لأجلك كل جمـــــيل وهمت لأجلك .....في كل وادي [3].

ما يميز شعر الشاعر قدرته الفائقة على الوصف الممتع المثير الذي ينقل السامع من خلاله من موطن إلى موطن، وكل ما حل بذلك الموطن تمنى أن يخلد إليه ويستأنس بمناظره ومفاتنه الخلابة، ويحس بدفئه الكامن في وجدانه لأن الوطن جزء من الإنسان .

[1] – مفدي زكرياء، إلياذة الجزائر، ص 36.

[2] –بليحيا الطاهر، المرجع السابق، ص64.

[3] –مفدي زكريا ء، إلياذة الجزائر، ص37.

المبحث الثاني: بطولات الجزائر عبر التاريخ

تناول هذا البحث بطولات الجزائر أثناء الثورة بوصف دقيق لمجريات الأحداث آنذاك، والتي بدأها من حوالي (238ق-م) إلى يومنا هذا وقسمه إلى ثلاث أقسام هي: التاريخ القديم، التاريخ الوسيط، التاريخ الحديث والمعاصر .

أ-تاريخ الجزائر القديم: يتحدث الشاعر مفدي زكرياء هنا عن أرض الشهداء، وقبلة الثوار، ومهد الأحرار، وعن أرض المعارك، وملامحها الخالدة، فيستهل هذا القسم من الملحمة بتساؤل عن التاريخ وحضارة أعرق الأمم في الأرض من أشد ابتلائها بالمحن والتحديات ثم إلى هذه التي هي روعة من روائع الدهر حيث يقول:

وأوقفت ركب الزمان طويـــــــلا أسائله: عن ثمود .....وعاد

وعن قصة المجد .من عهد نوح وهل إرم ....هي ذات العــماد؟

فأقسم هذا الزمان يـــــــمينا وقال: الجزائر ...دون عنـــاد [1]

واستلهم الشاعر في هذا القسم تاريخ الأمم والأجداد من بينهم "**ماسينسا** "ابن غاد الملك الأمازيغي ولد سنة 238 قبل المسيح، حيث كان يحارب الرومان وسفاكس معا، لكنه استمر في الدفاع عن وطنه وكونه إمبراطورية قوية، ولقد إشتهر بالحروب البونيقية على مر التاريخ حيث تقول: "المصادر إن ماسينسا الذي وسع ملكه عبر الآفاق الإفريقية كان على صلة عضوية بروما، وكانت روما ترعاه لما يحققه التحالف معه من خدمة إستراتيجية واقتصادية تضمن مصالحها "[2].

[1] -مفدي زكريا ء، إلياذة الجزائر ، ص37.

[2] -عشراتي سليمان، الشخصية الجزائرية (الأرضية التاريخية والمحددات الحضارية)، ديوان المطبوعات الجامعية، د، ط، 2009، ص35.

دعوا ماسينسا يردد صدانا ذروه، يخلـــــــد زكى دمانا

وخلوا سفاكس يحكي لروما مدى الدهر كيف كسبنا الرهانا

وكم ساوموه، فـــــثار إباء وأقسم أن لا يعـــــيش جبانا .[1]

وكـان مصـدر إلهـام" ماسينيسـا "زواجـه مـن العالمـة والموسـيقارة والفيلسـوفة والمؤرخـة القسيسية القرطاجنية والتي اتخذت في ملحمة الشاعر أكثر من منحنى، بإضافة إلى تمثيلها للمرأة الجزائرية، مثلت الوطن (الجزائر)، الوحدة المغاربية، فمن خلال هذا جعلها مثالا أعلى لكمال البشري للأنثى، كما تمسكت بعقيدتها، في صلابتها ورقتها وفنها ".[2]

ومن صنعت روحه سوفونيزيا جدير بأن يتحـدى الزمانا

تغذيه حبا وفنـــــــا وعلما وتنبيه ما قد يكون، وكانا

ويتدرج الشاعر إلى سلالة ماسينيسا ومن بينهم **يوغرطة** الذي سار على هدي أجداده الذي ورث عنهم رفض الذل والخضوع والمقاومة والتصدي للغزاة حيث يقول:

فجاء يوغرطة على هديــه بحكم الجماهير يفشى الأمانا

ووحد سيرتا بأعطاف كاف وأولى الأمـــــازيغ عزا وشأنا [3]

هو الذي بنى مدينة سيرتا قسنطينة حاليا وصاحب مقولة "مدينة **روما** في المزاد العلني لمن يشتريها ."[4]

ولقد ركز الشاعر على شخصيتي ماسينيسا ويوغرطة باعتبارهما منبع العدالة الاجتماعية ومنبع الأمان في زمن الصراع الغابي.

---

[1] – مفدي زكرياء، إلياذة الجزائر، ص39.

[2] – نسيمة زمالي، قراءة في إلياذة الجزائر لمفدي زكريا ء، دار الهدى، الجزائر، د.ط، 2012، ص89.

[3] – مفدي زكريا ء، إلياذة الجزائر، ص39.

[4] – بليحيا الطاهر، المرجع السابق، ص72، 73.

ثم ينتقل الشاعر إلى شخصيات تاريخية أخرى بعضها في البطولة والبعض الآخر في مجال الفكر والفلسفة والأدب، فمن أبطال الأمازيغ تيكفر ناس، هوثائر أمازيغي جزائري على عهد الإمبراطور الروماني بربروس ولقد انتصر على العديد من جيوشه الذي عرف بحرب الثماني سنوات وصنع التاريخ ومجده أمام الرومان:

صمود الأمازيغ عبر القرو ن، غزا النيرات، وراع النجوما

فكم أزعجوا نائبات الليالي وكم دوخوا المستبد الظلوما

سلوا طبرية يذكر تبيريوس تيكفرناس يوالي الهجوما

ثمان سنوات يصارع روما فدق المسامير في نعش روما

وهذا "فراكسن "الذي أوقف زحف وجبروت بربروس حيث خاض معه معارك وحروب فذة في جبال جرجرة دامت أعواما عديدة حيث يقول:

سلوبربروس يجيبكم فراكسن من جرجرا كيف أجلى الغيوما.

ومن أبطال المعارك ينتقل الشاعر إلى أبطال العلم ومنهم "أغوستن " العالم الفيلسوف صاحب كتاب (الإعترافات) الذي جعل منه عالما عظيما وفخر البلاد ككل وولد بنافست (سوق أهراس الحالية):

وهذا أغوستنس بالاعتر افات حيرعبر الزمان الفهوما

وأسقف بونه أصبح قد يس قرطاج مذبت فيها العلوما[1]

ولم ينس مفدي الحكام العظماء، فذكر منهم "يوبا الثاني "الذي كان واليا على عرش الأمازيغ بشرشال، وقد كان سياسيا ماهرا وعسكريا ممتازا، نافس روما بشرشال، بما احتوته من معالم وقصور ومسارح ومعابد فاخرة، كما أسس جامعة كبرى للعلوم والآداب والفنون، فكان أول من وضع جغرافية جزيرة العرب:

[1] – مفدي زكرياء، إلياذة الجزائر، ص 40.

أشرشال: هلا تـــذكرت يوبا ؟ ومن لقبوا عرشك القيصريه

ومن مصروك فنافست روما ؟ وشرفت أقطـــارنا المغربيه

لماذا يلـــــــقب يوبا بثان أما حقق السبق في المدينه

وباهي بشـــرشال جنت عدن ؟ وزان حدائقها الســـندسيه ؟

أما كان أول من خـــط رسما لوجه جزيرتنا العـــــربيه ؟

أما شاد يوبا بشـــرشال للعلم أول جامـــــــعة أثريه

ومن العلماء ذكر كذلك أبولوس الذي ولد بمداوروش وألف بعض الكتب منها: كتاب التحولات، الزهريات، تقلبات الحمار، وأجاد في اللاتينية واليونانية وكان عالما بالسحر وفنونه، ونقل عنه الأمويون بعض قصصه على ألسنة الحيوانات .

وهذا أبولوس كان طبـيبا يدين له العلم بالـــعبقريه

وأبدع في قصص الـــحيوا ن، فأثر في القصص الأمويه

وكان الأفارق في منتداهم بروما يخصـــــونه بالتحيه

وكان أبولوس قاضي روما ليمناه ترفـــــع كل قضيه [1]

لم تكن كل هذه الأسماء هي كل شيئ في تاريخ الجزائر القديم بل هي بمثابة نماذج وعينات تخفي ورائها بطولة كان زادها الصمود والشجاعة، كل ذلك كان للاعتبار والتأسي، ولربط الماضي بالحاضر لأن التاريخ سلسلة متصلة الحلقات لا يمكن لها الانفصال فلا حاضر للأمة دون إرتباطها بماضيها.

ب- تاريخ الجزائر الوسيط .

ركز الشاعر هنا على تاريخ الجزائر أثناء الحكم المركزي الإسلامي، الذي انقلبت فيه الموازيين وتغيرت فيها القوانين:

[1] – مفدي زكرياء، إلياذة الجزائر، ص 41.

ولاح الصباح، فهز السكارى وأجلى الندامى، ورض الـكؤوسا

وأيقظ حلم الليالي الـــحبالى وأسرج في الكائـــنات الشـــموسا

وأهوى على البغي، يذروالجذو ع، ويغرس في الجبروت الفؤوسا [1]

ومن خلال هذه الأبيات يتبين لنا أن الشعب الجزائري تقبل هذا الدخيل دون غيره لأنه يختلف عن غيره من الغزاة الذين عاثوا في الأرض فسادا، بمبادئه السمحة ورسالته النبيلة التي غيرت سيرة الحضارة الجزائرية تغير جذريا، وأثرت في حياتها الروحية والفكرية والاقتصادية وتضمنت المصير الحضاري الذين كانوا الأجداد يهدفون إلى تحقيقها:

وهبنا العروبة جنسا ودينا وانا بما قد وهبنا رضينا

إذا كان هذا يوحـــد صفا ويجمع شملا رفعنا جبينا

إلى أن يقول أن عقبة رمز لدخول الإسلام إلى الجزائر:

ومرحى لعقبة في أرضـــنا ينير الحجى، ويشيع اليقينا

ويعلى الصوامع في القيروا ن، ويرفعها للدفاع حصونا [2]

من أبطال الإسلام ابن رستم والذي واصل رسالة أجداده في الجهاد والمحافظة على أرضه، حيث ملأ الدنيا عدلا وغمر أرض الأجداد نبلا وعفافا وعلما، وهذا كله يرجع إلى القيم التي جاء بها الإسلام سواء كانت روحية أم عقائدية:

وهال ابن رستم أن لا نسود ونبني كيـــــــانا لنا مستقلا

فقام بتـــــاهرت يعلى اللوا ء، ويرسي نظاما، وينشر فضلا

يوجه حكم البـــــلاد الشرا ة، بوحي الشـــريعة حقا وعدلا [3]

---

[1] – مفدي زكرياء، إلياذة الجزائر، ص 42.

[2] – المصدر نفسه، ص43.

[3] – المصدر نفسه، ص 44.

وقد تمكن هذا السياسي المحنك من تحقيق النظام الديمقراطي.

وإلى جانب ابن رستم ذكر **بولغين والناصر بن علناس، وعبد المؤمن بن علي ويغمرانس**، حيث يقول عن بولغين مؤسس الجزائر:

بولغين يا من صنعت البقآ سنحفظ عهدك والموثقا

فيريموس أم أنت من شادها ؟ فحيرت الغرب والمشرقا؟

بنيت الجزائر فوق السما ك، فكانت لمعراجنا المرتقا [1]

أما في المجال الفكري والفلسفي والأدبي فقد ذكر فيه العديد من الشخصيات المشهورة مرتبطة بأعمالها الخالدة ابن هانئ الجزائري، عبد الجبار بن حميدس، عائشة العمارية) إذ يقول:

سل ابن علنا س عن ذكرنا وقلعة حماد عن مجدنا

يجيبك ابن حميدس في الخالد ين، ويصنع قوافيه من وحينا

وتنبئك عائشة كيف كانت ترق وتقسو على بعضنا [2]

"تركيز الشاعر في ذكر عائشة العمارية كان منصبا على جانبين، الجانب القيادي الريادي للمرأة، والجانب الأدبي الفني، ولم يلمح من قريب أومن بعيد إلى جمالها الجسدي وهذا ما يدلنا على الإرتقاء الفني لذوق الشاعر الذي لم يصبح رهين نزواته وغرائزه فلم يستهوه جمال المرأة ومفاتنها، بقدر ما استهواه شعرها وفنها وقدرتها على فرض إرادتها وإقناع الآخرين برأيها ورغبتها، ومن أشهر الشاعرات في دولة بني حماد، لها شعر رقيق إلى جانب أهاجيها اللاذعة " . [3]

[1] – مفدي زكرياء، إلياذة الجزائر، ص 47.

[2] – المصدر نفسه، ص49.

[3] –نسيمة زمالي، المرجع السابق، ص93.

ويختم الشاعر جولته هذه بمرحلة من أخطر المراحل ألا وهي دخول الأتراك إلى الجزائر نال الضعف والهوان بالجزائر، لدرجة أنها أصبحت عرضة لهجمات القراصنة الذين عاثوا فسادا في البحر، وزرعوا الرعب في قلوب سكان الساحل والذين لم يجدوا منفذا لهم، غير الاستنجاد بالأتراك الذين هبوا لنصرتهم نحوقيادة **خير الدين** وأخيه **عروج** .

ولقد تمكن هذان البطلان من حماية الجزائر ومصالحها في حوض البحرالأبيض المتوسط بفضل إمتلاكهم لأقوى أسطول بحري، إذ كان بمثابة الحصن المنيع .وكل ذلك يخلصه مفدي زكرياء في قوله:

قراصنة البحر عاثوا فسادا فأدب ليث البـــــحار القرود

إلى غاية قوله:

وآزرنا الترك حتى انتصرنا ولم يخفر الترك ماضي العهود

ولم نك للـــــترك بالتابع ين، وإن عززوا سعينا بالجهود

ونحن أناس نعد الجميل، ونرعى ذمام، الصديق الودود [1]

ج-تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر:

يستهل الشاعر حديثه هنا عن الأسباب الواهية لاحتلال فرنسا للجزائر وهي لا أساس ولا منطق فيها بل كانت مجرد وسيلة للسيطرة على البلاد، فخصوبة أرض الجزائر وموقعها الإستراتيجي سبب المشاحنة والتكالب على أرضنا وخاصة ذلك القمح الذهبي الذي أنقذ فرنسا وكل أوربا حين اكتسحتها مجاعة رهيبة دامت لأعوام طويلة:

وجاعت فرنسا ....فكنا كراما وكنا الألى يطعمون الطعاما

فأبطرهم قمحنا الذهبي، وكم تبطر الصدقات اللئاما [2]

[1] -مفدي زكريا ء، إلياذة الجزائر، ص52.

[2] -المصدر نفسه، ص53

وكان مفدي زكرياء يستلهم قول المتنبي حول تمرد للإستعمار البغيض إذ يقول في وصفه:

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أكرمت اللئيم تمردا [1]

فاللئيم التي أكرمته الجزائر تمرد عليها، وما كان جزاء إحسانها إلا بالتسلط والاعتداء عليها، وحادثة المروحة لم تكن إلا ذريعة مفتعلة لا أساس لها من الصحة وهي السبب المباشر للإحتلال، ولكن هي في الحقيقة مجرد أساليب للتسلط الذي أعلنته الدول الأوربية على الدول الصغيرة على الخيرات الباطنة، وفرنسا من بين هذه الدول المستبدة التي برزت في صورة لص محتال .

ومروحة الداي لم تك إلا كما يستبيح اللصوص الحراما [2]

وتعيش الجزائر بعد هذا التاريخ المشؤوم لحظات الشقاء والتعاسة، غمامة سوداء، وليل دامس وسياسة لا ترحم وهذا **محمد السعيد الزاهري** "يصف الحالة التي آلت اليها البلاد بقوله:

"أرى أرض الجزائر في أنياب بؤس يمضغها مضغا، وأراها في فقر يأكلها أكلا لما، وأراها بعد ذلك تتخبط في جهالة عمياء، وتعم في ظلال مبين، فلا أستطيع مع ذلك صبرا، أراها كذلك فيذوب فؤادي رقة وحزنا، وتذهب نفسي عليها حسرات، إنه لا يكاد يقضي على الكمد، ويقتلني الأسى، إذا أنا تذكرت ما كان لوطني من العز والشرف، وما كان له من السيادة على الفرنجة ثم أراه صار بعد ذلك كله إلى الذل والهوان ".[3]

[1] – المتنبي، الديوان، دار الجيل، بيروت، دط، دت، ص372.

[2] – مفدي زكرياء، إلياذة الجزائر، ص53.

[3] – صالح خرفي، الشعر الجزائري الحديث، الشركة الوطنية للطباعة والنشر، الجزائر، د.ط، د.ت، ص17.

فالجزائر في الواقع أرض "تتسربل بدماء الشهداء الذي يتساقط هنا وهناك، فوق هذه الأرض التي ما تزال حبلى بأسمائهم النورانية واحدا واحدا في الهضاب الشم حيث الموت عرس وبشائر وفي السهول الممتدة التي استولى عليها الكولون بالقهر والاستبداد "[1]حيث يقول:

بلى يا ...فرنسيس، هذا الحمى صنعنا سيادته بالدما

بلونا السنـــــين الطوال جهادا تباركنا معجزات السما [2]

وهذا ما يواكبه في ملحمة الثورة الجزائرية المظفرة مؤمنا بها وقد أكملت بالصبر والتضحية ولم يتخل عنها شعبها ولودفع أغلى الأثمان .

وهكذا يستجيب الشعب لنداء الوطن "الذي يمجد فيه العلامة مفدي زكرياء الماضي الثوري لهذه الأمة المجيدة، فنتطلع بذلك إلى مستقبل نريده أن يكون مشرقا للجزائر خالدة خلود شعره "[3]

وتكتسح الأرض بعدها موجة عارمة من التفاءل والتحدي حيث يقول الشاعر:

صعدنا نقام، شرقا وغربا ونجعل أرواحنا سلما [4]

"فبعد أن تطرق الشاعر لأسباب الغزو، يذكر بعدها رفض الشعب الجزائري للإحتلال الأجنبي بكل ما يمتلكه من قوة، فقد حارب وعبر عن رفضه بكل الطرق إبتداءا بالانتفاضات الشعبية الغير المنظمة، ومنها على الكفاح السياسي، وأخيرا على الكفاح المسلح، الذي لا يعرف فيه العدوسوى لغة الرصاص والكلمة المجلجلة التي لا يشتم منها سوى رائحة البارود

[1] – جمال فوغالي، صوت الثورة الجزائرية لمفدي زكرياء، مجلة آمال، الجزائر، العدد5، أكتوبر 2009، ص04.

2 - مفدي زكريا ء، إلياذة الجزائر، ص54.

[3] – جمال فوغالي، المرجع السابق، ص05.

[4] – مفدي زكريا ء، إلياذة الجزائر، ص54.

والموت، حيث جعل مفدي لهذه المرحلة ملحمة خاصة بها تخللت الملحمة الكبرى، وذلك من خلال ظهور ملامح قصة حقيقية بدأت في خضم السير الرئيسي للحدث الملحمي ".[1]

وبهذه الطريقة التي نسج من خلالها أحداث وبطولات الثورة الجزائرية ينقلنا الشاعر إلى أكبر إنتفاضة قام بها الأمير عبد القادر الجزائري وغيره، واصفا ذلك إذ يقول:

أيا عبد القادر .....كنت القديرا وكان النضال طويلا عسيرا

شرعت الجهاد فلباك شـــعب وناجاك، رب فكان النصيرا

ونظمت جيشا، وسست بلادا فكنت الأميرا الخبيرا الخطيرا [2]

وتمت مبايعة الأمير الذي لم يتجاوز الرابعة والعشرون من عمره قائدا وأميرا، وقاد هذا الشاب انتفاضة منظمة تحكمها قوانين الجيوش العالمية، مستعدا للتضحية في سبيل تحرير الوطن وقد أسهب الشاعر في الحديث عن انتفاضة الأمير عبد القادر لأنها الأولى من حيث الإنطلاقة وكانت الرائدة كما أنها دامت 18سنة .

وإذا كان الأمير قد أقلق العدومن الجهة الغربية، فإن أحمد باي قد تولى الجهة الشرقية:

غزالا مور يسيير أحمد باشا فقمنا بسيرتا نصون الحمى

وثرنا، نقاوم، بيـــــتا فبيتا وشبرا، فشبرا، ونسبي الدمى [3]

وهناك إنتفاضة الزعاطشة التي قام بها "عبد الرحمن بن زيان "الرجل الذي رفض أن يعيش جبانا أوخائنا للوطن، للجيوش الفرنسية، بكل قوة وشجاعة حتى سقط شهيدا وسقى الأرض بدمائه الزكية:

[1] – بليحيا الطاهر، المرجع السابق، ص85.

[2] – مفدي زكريا ء، إلياذة الجزائر، ص55.

[3] – المصدر نفسه، ص54.

تلقف رايتك ابن الجزائر وعند ابن زيان تبلى السرائر

وهب الزعاطشة الثائرو ن، فهب لنصرتهم كل ثائر

تحدى ابن زيان سخف اللئام، فمات الشهيد، فداء الجزائر

وهل يخفض ابن الجزائر هاما ويحني جبينا أمام الصراصر ؟[1]

"كما رصد الشاعر أبوالقاسم خمار الدور الفعال للمرأة الجزائرية في إذكاء روح الجهاد لمواصلة التحدي والتغني بالوطن في كل هذه الصفات المجتمعة، جمال، بهاء، منقطع النظير وكان يصرح بعواطفه اتجاه الجزائر فهي كل شيء في حياته:

حبيبتي يا بـــلادي يا قسمة أرتضيها

يا قطعة من فؤادي يا من دمي نفديها

لوقيل أي خـــلد تعطى وتجـــفوبينها "[2]

ومن أبرز ذلك المقاتلة فاطمة نسومر "لبؤة جرجرة، جاء ذكرالشاعر لها يثني على روحها النضالية، وطنيتها الحربية، وقوتها الجهادية، في سبيل قضيتها التي تؤمن بعدالتها، تلك القوة التي أذهلت أقوى قواد فرنسا، وغطت على صنيع الرجال وبسالتهم وقد أعرض الشاعر في حديثه عن هذه الشخصية بدورها، عن ذكر جمالها المادي ومفاتنها الحسية، فيفرد في قصيدته بطولاتها وأمجادها ."[3]حيث يقول:

وتذكر ثورتنا العارمه بطولات سيدتي فاطـــمه

يفجر بركانها جرجرا فتزحف باريس والعاصمه

وخلد باسم أمها ذكره فزكى قداسته الدائـــــمه [4]

---

[1] –– مفدي زكرياء، إلياذة الجزائر، ص56.

[2] – أبو القاسم خمار، بين ثورة شعر وشعر الثورة، دراسة نقدية، جمعية الإمتاع والمؤسسة، د.ط، 2006، ص73.

[3] –نسيمة زمالي، المرجع السابق، ص94.

[4] –مفدي زكرياء، إلياذة الجزائر، ص57.

وقد انتشرت هذه الانتفاضات، وعمت تقريبا كل أرجاء الوطن لتصل إلى أقصى الجنوب الغربي، حيث توحدت مجموعة من القبائل المتجاورة بقيادة البطل (سليمان بن حمزة)

بنوسدي الشيخ قادوا النضالا فهزوا الثرى وأذابوا الجبالا

سليمان حمزة آلى يمـــــينا فبر، وأصلى المغير الوبالا

سلوا بويريت العقيد المسـجى وحمزة بغرس فيـــه النبالا

بالإضافة إلى هذا هناك الكثير من المقاومات التي ذكرها مفدي ضمن إلياذته، منها انتفاضة بوعمامة، انتفاضة آل عمران، انتفاضة الحداد وبومزراق .....الخ .وغير ذلك

وصوت ابن الحداد دوى دويا ينادي: البدار ويدعوالقـــتالا

ومن آل المقران في الشاهقا ت، نسور، بواشق، تهوى النزالا

وقال بومرزاق حان الجـــها د، فحقق بالمعجزات، المـــحالا [1]

فهذه بعض الانتفاضات التي انتشرت في أنحاء الجزائر، لأنه من الصعب أن نحصي كل المقاومات التي عمت ربوع الوطن، ومفدي زكرياء ذكر مجموعة من الأسماء التي احتفل التاريخ بها نظرا لشهرتها، لأن تاريخ الجزائر في القرن التاسع عشر، كان حافلا بالعديد من الانتفاضات المختلفة، التي انطلقت من الجماهير الشعبية .

جزائر أبدعها ذوالجلال وصور طينتها من نضال

بلاد تمازج عشـــــاقها وتمنع عنهم لذيذ الوصال

فما انكفأت ثورة في السهو ل، ولا انطفأت ثورة في الجبال

ولم يحن أوراس هامـــــته ولا هدأت عاصفات الرمال [2]

[1] – مفدي زكرياء، إلياذة الجزائر، 58.

[2] – المصدر نفسه، ص 60.

بعد أن استعرضت الإلياذة الكفاح المسلح، ذكر الشاعر الوجه الآخر المتمثل في الكفاح السياسي، والذي تجسد في الحركات التحررية والأحزاب السياسية التي كان هدفها الأسمى الحرية:

لئن مج صوت السيوف الصقال وأغفى صرير الرماح العوالي

فحزب اليراع أعـــــاد الصرا ع، يقود ســراياه نجم الشمال

بأرض فرنسا، يدك فرنـــــسا وينذر ســــــاستها بالوبال.[1]

وقد ذكرت الملحمة معظم التيارات السياسية المكافحة بداية بحركة الأمير خالد:

تجاريب خالد مهما تكن ... فلم نك نغمط قدر الرجال[2]

ومرورا بجمعية علماء المسلمين:

وفي الدار جمعية العلـــماء تغذي العقول بوحي الســما

وتهدي النفوس الصرا ط السو ي، وتغرس فيها معاني الإباء [3]

دون أن ننسى حزب الشعب والدور الذي أداه في يقظة الشعب الجزائري:

فللشعب حزب يصون المبادئ وشعب الجزائر بالناس أدرى [4]

وهذا حزب البيان الذي رفض الاندماج الفرنسي ودعا حزب الشعب للتوحد، واعتناق المبادئ الواحدة من أجل الهدف الواحد.

[1] – مفدي زكرياء، إلياذة الجزائر، ص 61.

[2] – المصدر نفسه، ص60.

[3] – المصدر نفسه، ص62.

[4] – المصدر نفسه، ص 63.

أفاق من الوهم حزب البيان فأسلم للمخلصين العنـــان

وزايله الشـــك في أصله فمدت لحزب البيان اليدان [1]

وهكذا من لغة الكلمة إلى لغة الرصاص ومن اللين إلى القوة ومن المهاودة إلى الصرامة، كما يقول المناضل جمال عبد الناصر: "وما أخذ بالقوة لا يسترجع إلا بالقوة " حيث يقول الشاعر مفدي زكرياء:

وما الإنتصار دخول إنتخاب وضرب الموائد، ضربا شـــديدا

ولا كلـــــــمات على جدران هل الحبر في الحرب كان مفيدا

ولا بالوفود ....وسمع فرنسا أهال عليه الغرور الصـــــديدا

ولن يغسل العار إلا الدمـــا وعاش الحديد ....يفل الحديدا [2]

وخير الأدلة على ذلك حوادث الثامن ماي1954، الدليل القاطع على وحشية المستعمر، ودليلا على ذلك أن الكلام لا ينفع مع فرنسا التي واجهت الصدور العارية برصاصات الغدر والمكر ، فكانت نتيجة ذلك خمسة وأربعين ألف شهيد، من خيرة شبابنا الذين تعلموا الأحزاب، فكان يوما مشؤوما على المجتمع الجزائري ككل:

فيا أربعين وخمسا أعيـــدي فضائح جند، غبـــــي بليد

وآثام أحلاس جيش عـــميل عديم الحيآ، كضمـير اليهود

ويا ذكريات الدماء الغوالي أفيضى جلالك ملء نشيدي

ويا لعنات السمـــــاء إنزلي صواعق فوق الظلوم الحقود [3]

[1] – مفدي زكرياء، إلياذة الجزائر، ص 64.

[2] – المصدر نفسه، ص65.

[3] – المصدر نفسه، ص67.

إن هذا التوظيف في شعر مفدي زكرياء، يكشف عن معاناة اضطراباته الحادة، فيعبر عنها ليؤجج غليان الثورة في النفوس البائسة النائمة .

ولهذا ينفض مفدي زكرياء يديه من الحبر والورق، وكأنه ليس بالشاعر الأديب، فهويرى في دم الأحرار الحروف التي تمحى والأصداء التي تخترق الصمت:

وطالت خرافات حرب الكلام وما بلغ الشعب فيه المرام

فآمن بالنار من عرفــوها ومن كاشفتهم بسر النظام [1]

فكانت ثورة الفاتح نوفمبر سنة "1954 ثورة شعب أراد الحياة فاستجاب له القدر، تاريخ إنطلاق الشرارة الأولى للثورة التحريرية التي حققت الإستقلال وإسترجاع السيادة، التي غدة فيها النفوس الثائرة بالروح الوطنية وأججت فيها الحماسة للحرية والانعتاق "[2]، متأسيا بأحداث التاريخ الإسلامي.

تأذن ربك لـــــــيلة قدر وألقى الستارعلى ألف شهر

وإلى أن يقول:

نوفمبر غيرت مجرى الحي اة، وكنتَ نوفمبر مطلع فجر

وذكرتنا في الجــزائر بدرا فقمنا نضاهي صــحابة بدر [3]

[1] –مفدي زكرياء، إلياذة الجزائر، ص68.

[2] –خليدة تومي، نوفمبر هويتنا الثقافية، مجلة الآمال، وزارة الثقافة، الجزائر، العدد5، أكتوبر 2009، ص02.

[3] –مفدي زكرياء، إلياذة الجزائر، ص69.

ومن خلال هذه الأبيات يتبين لنا أن" ثورة نوفمبر محطة تحول هامة في تاريخ الجزائر، محطة أساسية لتكريس الهوية الجزائرية، لإثبات الذات الجزائرية الخالصة، لتحقيق الخصوصية الجزائرية".[1]

فكأن الثورة جاءت لتشفي غليل الانتقام من سياسة الخداع أولا، ثم فرض نفسها على العدو، وتثبت أنها قادرة مقتدرة غير مهزومة، بموافق موتورة أودماء مطلونة، ومفدي كأنه على صخرة من صخور الأطلس الشامخ، يهيب بالثائرين الأحرار، مناجيا ومهللا لنوفمبر العظيم ومدى أهمية هذا اليوم بالنسبة له وطال ما إنتظرناه على أن يتحقق ذلك الأمل وفيه يقول:

نوفمبر جل جـــلالك فينا ألست الذي بث فينا اليقينا؟

سبحنا على لجج من دمانا وللنصر رحنا نسوق السفينا

وثرنا، نفجر نـــــارا ونورا ونصنع من صلبنا الثائرينا [2]

لقد عاشت الثورة أحداث تاريخية أثبتت صلابة عدوها منها(مؤتمر الصومال) المنعقد في 20 أوت1956 الذي كان وثيقة الثورة ودستورها:

أصومام باسمك، صمم شعب سياسة ثورته، فانطـــلقنا

إلى أن يقول:

وقرر صومـــــــام أهدافنا فسرنا على هديها، فانتصرنا[3]

[1] – خليدة تومي، المرجع السابق، ص03.

[2] – مفدي زكرياء، إلياذة الجزائر، ص70.

[3] – المصدر نفسه، ص71.

إضافة إلى توسيع مجال الثورة التي ضمت كل مناطق البلاد شمالا وجنوبا، شرقاوغربا.

وبالتالي فرنسا لم تجد من ثغرة تنفذ منها، فرضخت للأمر الواقع وإعطاء الحق لأصحابه، فكان بذلك النصر للشعب الجزائري يوم الخامس جويلية1962، أين انتهى الحكم الاستعماري في الجزائر وإلى الأبد، أجبرت فرنسا على الرحيل من بلادنا مطأطئة الرأس فطويت صفحة من تاريخ أمة مصبوغة بدمها القاني وبهذا التعبير الصادق القوي في ألفاظه استطاع أن يؤثر في أمته التي إعتنقت الثورة بكل روح وإيمان صادق حيث يقول:

وديغول ألقى بـــــــيادقه فطاولها رخنا فانتـــــــصرنا

وخاف الحواجر تحمي الغلاة، وتبكي فرنسا لها....فضحكنا

وفكرد يغول في حمـــــقهم وفي صدقنا.....ثم قال"فهمنا"[1]

وفي آخر هذا القسم يتغنى مفدي بحرية واستقلال الجزائر، ويعيش ذروة الفخر والاعتزاز في دولته التي بناها أبناؤها على أنقاض الركام، والدمار الاستعماري، والتي راح ضحيتها حوالي مليون ونصف مليون شهيد.

فإذا بحثنا عن الجروح في الثورة نجدها نازفة والدموع نجدها ساخنة، ونجد الأمهات تواكل، والأبناء يتمامى ومتشردين، ويصدمنا الشرف مهتوكا، والشيخوخة مداسة، والطفولة معذبة.

فرضنا إرادتـــــنا الفارعه ولم تخب، نيراننا الـــــدالعه

وصغنا مصـــائرنا بالرصا ص، وبالرأي، والحجة القاطعة

[1] – مفدي زكرياء، إلياذة الجزائر، ص 82.

وتمت بها كلمـــــات الإله، التي وقعت باسمها الواقعه

ولاح الخلاص، بحلم الليالي ترفرف أعلامـــة اللامعه [1]

"كما وصف الدكتور حسن فتح الباب الحرية قيمة أساسية، ولدت بموت الإنسان وسرت في روحه مسرى الدم في الشرايين "[2].

عبر رحلتنا القصيرة، ومن خلال إبحارنا في أعماق تاريخ الجزائر، وبتحليلنا البسيط له، نكون قد إطلعنا على أهم الأحداث التاريخية التي جرت على هذه الأرض الخضراء الطيبة، أحداثها صنعها الأبطال من أجل أن تكون للجزائر هوية مستقلة، كما جعل لها الشاعر ملحمة يخلد فيها بطولات وأمجاد الأجداد .

ج- رصد الأوضاع الإجتماعية ونقدها:

بعد أن سرد الشاعر أحداث الثورة ومجرياتها الكبرى من بداية الثورة إلى عهد الإستقلال ينقلنا إلى الحديث عن الأوضاع المتردية التي خلفها المستدمر على أرض الجزائر، وترك العادات السيئة، تنتشر كالسم القاتل الذي خلفه الاحتكاك بالغزاة، وهوما يسمى بالتقليد الأعمى مثل ما يحدث في مجتمعنا اليوم، وخاصة الفئة الشبانية منها، ويتعلق بحديثه عن المجتمع وعلاقته بالجيران وعلاقة أفراده بعضهم ببعض، لذلك يرى مفدي زكرياء أنه من الأجدر سلك سياسة واضحة منظمة تمكننا من الخروج من هذا الجوالقاتم قبل فوات الأوان.

[1] – مفدي زكرياء، إلياذة الجزائر، ص 83.

[2] –حسن فتح الباب، المرجع السابق، ص38.

فطالب في بداية الأمر بضرورة الوحدة المغاربية لنكون أكثر قوة، نتعاون في السراء والضراء، ونبني عهدا جديدا بين الأشقاء، ليكون كخطوة واسعة، نحوالوحدة الإسلامية الشاملة:

سلام على المغرب الأكبر على طبعه الناصـــــع الأطهر

أحيي الألى آزروا حربنا إلى النصر، في ريحها الصرصر

إلى أن يقول:

وشائجنا، رحم، وذمـــام تخلدها حرمة الأعصر

لتقف السياسة خطوالشعوب، لوحدة مغربنا الأكبر [1]

كذلك يحث الشاعر على التمسك بالعقيدة الإسلامية والوفاء بها لأنها منبع الموروث الإسلامي:

شربت العقيدة، حتى الثماله فأسلمت وجهي لرب الجلاله

ولولا الوفاء لإســــــلامنا لما قرر الشعب يوما مــئاله

هو الدين يغـــــمر أرواحنا بنور اليقين، ويرســـي عداله

ويحذر من الانحراف من هذا الدين القويم حتى لا نبتلي بمكروه لأن ترك الدين تنجم عنه عواقب وخيمة، وواقعنا يؤكد ذلك:

إذا الشعب أخلف عهد الإلـــــــــــــــه، وخان العقيدة، فارقب زواله

إذا ما انتصرنا بحرب الخلا ص، فثورتنا حـــــرب أصاله

نهدنا لمعركة المـــــستوى نربي النفوس ونغـــزوا الجهاله

ويصنع إيمـــــــاننا أمة قواما ....فترجف منها الظلاله [2]

[1] -مفدي زكرياء، إلياذة الجزائر، ص86.

[2] – المصدر نفسه، ص89.

ثم ينتقل الشاعر للحديث عن تلك العادات الفاسدة التي تقشعر منها النفوس، "هوتقليد الرجال للنساء الذين خلعوا ثوب العزة والكرامة والرجولة ولبسوا ثوب التخنث الذي تأنفه الأنفس السوية الأبية، وهذا أبعد ما يتمناه المستعمر، لأنه أدرك أنه رجل عن البلاد، لم يرحل عن العباد، فلم يخرج مهزوما ولا مدحورا ، بل غانمها منتصرا، إذا ستبقى لنفسه العقول والقلوب والنفوس ".[1]

وكل هذا ما تركه المستعمر للقضاء على فحول ومقومات هذه الأمةلأننا في زمن يصعب فيه التفريق بين آدم وحواء .

تخنث هذا الزمان ودبت خنافيس هيبي ، يشيع الرذيله

ونافس آدم وحـــواءه دلالا، وغنجا، وذبـــح فضيله

وجرت ذيول الطواويس هذى السراويل، وهي القصار الطويله

ولولا النهود، لما كنت تفرق، بين جميل وجميله. [2]

وكان هدفهم في تلك الفترة الاستعمارية هوطمس الهوية الجزائرية وتحويلها إلى هوية فرنسية من خلال تحويل المساجد إلى كنائس، تعليم اللغة الفرنسية، ...إلخ

تسامت مصادر إشعاعنا تدعم خالص إيماننا

مساجد للهدى في كل فج تنير السبيل لأجيالنا

[1] – نسيمة زمالي، المرجع السابق، ص22.

[2] – مفدي زكرياء، إلياذة الجزائر، ص90.

إلى أن يقول:

وهل فت فيليب في عزمنا؟ وحط القساوس من شأننا؟

وهل نابليون ومن وسمته؟ يداه استهان بإصـــــرارنا ؟[1]

إن ذكر الإسلام يأتي مقرونا برجاله، مصلحين كانوا أو أصحاب دعوة، وقد ذكرت الإلياذة أعظم هؤلاء الجزائريين، ولكن الشاعر يحمل مسؤولية التاريخ في قضية الإصلاح الديني والإجتماعي وعلى رأسهم (محمد بن يوسف "طفيش"):

طفيش* سقياك .....قطب الأئمه ومن عاش بالفكر، يصنع أمه

ومن شق بالعلم درب الحـــــيا ة، وصان لنيل الرسالات حرمه

ومن قطع العمر، يغزو الكـــتاب ويفري الظلام، ويلـــهب همه [2]

"ويلفت الشاعر النظر إلى خطورة التيارات الفكرية الأجنبية الوافدة على بلادنا والتي فتح لها المستعمر الباب على مصراعيه، ولعل أخطرها في ذلك الحين الشيوعية، والتي قال فيها "[3]

وأصبح تفكيرهم قرمزيا دخيلا، وإيمانهم مستترابا [4]

ولقد أدرك المستعمر أن الشباب في كل أمة هوعنصر الحياة المتدفقة، والفعالية الوثابة، والأمل الباسم، والغد المشرق التي تبني عليه الأمة مستقبلها، هوالذي يسجل في

---

[1] – مفدي زكرياء، إلياذة الجزائر ص91.

* طفيش: لقب شائع للشيخ محمد بن يوسف، العالم الجزائري، ولد بقرية بني يزقن بواحات وادي ميزاب .

[2] – المصدر نفسه، ص95.

[3] – نسيمة زمالي، المرجع السابق، ص26.

[4] – مفدي زكرياء، إلياذة الجزائر، ص99.

التاريخ، أنقى وأنصع صفحاته، ويعيد للأمة ماضيها الزاهر، وأن يحقق في حاضره ما يعتز به أحفادنا في أجيالهم المتلاحقة .

تفسخ هذا الشباب وماعا وخرب أخلاقه وتداعى

فويل الجزائر والمسلمين إذا دنس النشء هذي الطباعا

هوالخطر الجارف المستطير فإن تهملوه ..الوداع ...الوداعا [1]

ويتبين من خلال هذه الأبيات أن الشباب إذا تم احتضانهم ورعايتهم هم الشعلة التي تحمل الضياء للأمة، القادرين على صنع العجائب حين يكون واعيين، وإن أهملوا قد ضاعوا، الوداع، الوداع كما قال الشاعر.

فالشاعر لم يتردد أي لحظة في الإتجاه إلى بناة الجزائر لحماية الشباب، وإعادته إلى المنبع الأصلي والدستور السماوي:

بناة الجزائر، صونوا الشبابا ولا تأمنوا في الشباب الذئابا

ويتذمر الشاعر لجيل الثورة نساء أورجالا، لأنهم تنكروا لقوميتهم وأصبحوا يقلدون النصارى، فالمستعمر أخذ الروح وسلمنا الجسد جثة هامدة لا أمل يرجى منها:

ولا زال فينا.....لمستعمرينا عيون.....؟وإن أسلمونا الترابا؟[2]

ولقد استقبلت الجزائر كغيرها من الدول العربية حركة التبشير التي كان لها الدور الكبير في فساد أخلاق الشارع، ومحاربة المسخ والتنصر والتهويد:

وأعيا المبشر عمق العقيده فلم تجد فينا المساعي الحميده

ولا عســـل في طواياه سم ولا البذل يخفي الشرور المبيده

ولا أن يـــــــطوف بأبوابنا ومن خلـــفها، عزمات وطيده[3]

---

[1] – مفدي زكرياء، إلياذة الجزائر، ص97.

[2] –المصدر نفسه، ص99.

[3] – المصدر نفسه، ص103.

ومن بين المشكلات التي كانت منعرجا خطيرا في حياتنا الدينية والفكرية على المدى البعيد شيوع تزوج الجزائريين بالأجنبيات، لا لشيء إلا التعلق بقشور الحضارة التي لا طائل ورائها.

وبعض تزوج بالأجـــنبيه وقال:مثقفة حـــــضريه

تراقصني وتراقـــص هذا وذاك...وبعث عن حسن نيه

وتختال بالميني جوب دلالا ونستعرض المغريات الخفيه[1]

والأخطر من ذلك تزوج الجزائريات من الأجانب، وهذا الذي يترك آثار، وخيمة على المجتمع الجزائري، وهذا ما أدى إلى التفسخ والإنحلال والاختلاط، فكانت غنيمة سهلة للتيارات الداخلية:

وتفاحة أخرجـــــت آدما من الخلد، مذ لعـــــنته السما

ولكن حواءنا بلـــــعتها وبالعلج أبـــــــدلت المسلما

ولم ترض بالفحل من قومها فهامت بمن.....مارمى إذ رمى؟[2]

"هنا يتألم الشاعر شديد الألم من وطء ظاهرة شرب الخمر وإتيان الفواحش من أرجاس الإستعمار ومخلفاته النجسة، كانت بمثابة الطعنة النجلاء للدين والكرامة الوطنية، طعنة مسمومة تلقاها جسد الجزائر في غفلة من أمره بعد أن دفع الضريبة من دم خونة المبادئ قطعوا صلة الوفاء لشهداء الأمة، فآتوا المنكرات والفواحش ما ظهر منها وما بطن فنفروا من صوت الآذان ودعاء الحق، وأصبحت آذانهم لا تستسيغ إلا قرع الطبلة ونغم المزمار وأعراس الخمر"[3]، حيث يقول:

---

[1] مفدي زكرياء، إلياذة الجزائر، ص 104.

[2] –المصدر نفسه، ص105.

[3] –نسيمة زمالي، المرجع السابق، ص42.

وأزعج قوما أذان الصلاة يجلجل في القمم الضارعات

وحي الدرابك في كل فـــج تصب علـــى أهله اللعنات

وقرع الطبول، ونفخ المزاميـــــــــر لم يزعج المهج الفاجرات

وأعراس خمر، تراق عـــلى كساكس تـــقرف منها اللهاة

أيطربكـــم في الحي ناعق وتستنكـــرون أذان الصلاة ؟

وفوق المئاذن صوت الإله، يقود الشراع لشاطئ النجاة .[1]

هذه المرأة الجزائرية التي كانت بالأمس تحارب مع الرجل أثناء الثورة التحريرية، وتتبع عاداتها وتقاليدها التي أخذتها عن أجدادنا، فالمستعمر مسخ عقول الفتيات، أمهات المستقبل وعماد الأمة، التي أصبحت اليوم تسلك الطريق غير السوي:

ومنهن كالعنز بادي الرذيله يد للن بالعابـــــــــرين القبيله

يشمرن ذيـــــلا عن العورا ت، يثرن فضول النفوس الدخيله

ويسلكن غير الطريق السو ي، كخابط ليل أضـــــــاع دليله. [2]

ولكن مفدي زكرياء يستثني بعض النساء ممن حافظن على أصالتهن وشرفهن:

وحاشاك، حاشاك بنت الأصاله ومن شرفت جنسها ورجاله

وصان شبابك بنت الـــــحلال كما صنت عرضك بين الحثاله

سلكت الطريق القويم المبين، فجنبك العقل سبل الظلاله[3]

"فهي أم تتلقى برقية استشهاد ابنها في الجبل باعتزاز وفخر، تحتضن أطفاله الصغار هاتفة هاتفة، قبل أن يلفظ أنفاسه:{المجد للوطن}وليست بالأم المترفة الناعمة، ولكنها الفخورة

[1] – مفدي زكرياء، إلياذة الجزائر، ص112.

[2] –المصدر نفسه، ص106.

[3] –المصدر نفسه، ص107.

بفقرها الشريف، وحاجتها الملحة، وحياتها القاسية العاصفة، التي أثارها التحاق ابنها بالجبل وهي بطلة شجاعة جبارة ماردة إذ تقسم أنهالن تمسح دموع ابنها لأنها مشغولة عنه برعاية الأسلحة، وتنظيفها فالمنديل بيدها، ليس لابنها ولكنه للرشاش وللتلويح به أمام الجموع الزاحفة تلهب أحقادها وتستثير ثاراتها"[1].

وكذا بعض الشباب ممن أعرضوا عن كل هذه الأعمال اللاأخلاقية وتمسكوا بالدين القويم:

وأفلت من قفص الاتهام شباب أصيل وفي الذمام

وأشرب من نبع إسلامه وفلسفة الدين روح النظام[2]

وكأنه في غربته يكتب آخر سطور إلياذة الجزائر قد أحس بقرب الميعاد مع خالقه والالتحاق بإخوانه الشهداء، ثمن حرية الوطن، إذ توفي بعد ذلك بقليل بعد أن مجد بلاده ويودعها الوداع الأخير.....قبل أن يعود جثمانه الهامد، الذي لم يعرف الراحة ولا السكينة، سوى ألم السجن والترحال والنكران[3].

بلادي، بلادي، الأمان، الأمان أغنى عـــلالك، بأي لسان؟

جلالك تقصر عـــنه اللغى ويعجزني فيك سحر البـــيان

وهام بك الناس حتى الطغاه وما احترموا فيك حتى الزمان

وإشراقة الروح منك تـــناهت تشيع الجمال وتفشي الحنان

الى أن يقول:

إليك صلاتي وأزكى سلامي بلادي، بلادي، الأمان،الأمان[4]

[1] – صالح خرفي، المرجع السابق، 247–248.

[2] – مفدي زكرياء، إلياذة الجزائر، ص109.

[3] – حمة دحماني، ظاهرة الغربة في شعر مفدي زكرياء، مذكرة الماجستير، جامعة منتوري "قسنطينة "، 2005، 2006، ص120.

[4]– مفدي زكرياء، إلياذة الجزائر، ص118.

هذه منابع غربة مفدي زكرياء في حب الوطن وهذه زفراته الحارقة التي نثرها طوال العمر في التعبير عن كفاح الشعب وعن أرضه.

عبر رحلتنا القصيرة للأحداث التاريخية لمفدي زكرياء في إلياذته التي رسمها بقلمه، بدءا من الحديث عن الجمال الطبيعي لأرض الكنوز والخيرات، ثم ينتقل إلى قسم البطولات والأمجاد، كما عالج في هذا القسم الآفات والظواهر الإجتماعية الخطيرة التي آل إليها المجتمع بعد الإستقلال، والتطرق إلى الأوضاع التي تركها المستعمر كالسوسة التي تنخر عضد المجتمع الجزائري، والتي تمنى الشاعر أن تزول ويسير المجتمع على هدي الرسالة العظيمة التي أستشهد من أجلها خيرة أبناء الوطن .

كل هذا جعل منه شاعر الملحمة الواقعية في الشعر العربي، وأصبحت إلياذته سنة يحتذي بها في شعر الحماسة والبطولة، بإعتبارها وثيقة تاريخية على مر الزمان كما أن الثورة الجزائرية كانت منبعا ورافدا للشعراء الجزائريين وخاصة مفدي زكرياء في ذلك الوقت كان يرى أن الظلم في العدل والحرب في السلم .

إن الجانب الفني يعتبر الوسيلة الأساسية التي يبنى عليها العمل الشعري، إذن لا يمكن أن يخلوالفن الشعري من كل الأدوات الفنية لإثراء مضامين قصائد الشعراء إضاءة وزيادة المعنى وضوحا ورونقا، كما أن للعمل الشعري أهمية بالغة في طريقة الإلقاء عند الشاعر، وهذا ما نجده عند مفدي زكرياء نكهة وطعما مميزا، لأنه يشحنك بالحماسة إلى درجة تعود فيها بشعورك إلى التاريخ، كما أنه يعطي للنبر حقه والنغيم حقه، ويفجر أصوات بدافع الروح.

المبحث الأول :اللغة والأسلوب

أولا–اللغة:

إن اللغة تنمو وتحيا بفضل استعمال الأدباء لها، فعلى أيديهم تكتب مفردات جديدة، وعلاقات لغوية جديدة فإذا تصورنا أن لغة ما بدون شعراء وأدباء فهي تلك اللغة الآيلة من غير شك إلى الموت والانقراض، ولكن الفضل في حياة اللغة وتطورها يرجع إلى الأدباء والشعراء الذين يبدعون بها ويعتبرون من خلالها.[1]

كما يقال:"فحين يفرغ الأديب من أداء كلماته يكون في الواقع قد فرغ من أداء عمله الفني"[2]، كما يعرفها عباس محمود العقاد :(هي اللغة التي بنيت على نسق الشعر في أصوله الفنية والموسيقية، فهي في جملتها فن منظوم منسق الأوزان والأصوات لا تنفصل عن الشعر في كلام تألفت منه ولولم يكن منه كلام الشعر).[3]

[1] – حواس بري، شعر مفدي زكريا –دراسة وتقويم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ط، د:ت، ص325.

[2] – عز الدين إسماعيل، الأدب وفنونه، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ط: د:ت، ص23.

[3] –عباس محمود العقاد، اللغة الشاعرة، مزايا الفن والتعبير في اللغة العربية، دار غريب للطباعة، القاهرة، د ط، د ت، ص11.

إن الـدارس فـي إليـاذة الجزائـر لمفـدي زكريـاء، "يـرى أن المنبـع والمصـدر الأساسـي الـذي كـان يسـقي منـه أفكـاره وتعـابيره وألفاظـه القـرآن الكـريم فـي إنتاجـه الشـعري طوال مسيرته الشعرية التي استمرت حوالي نصف قرن، من أغرز الروافد صبا في شعره ومن أجزلها عطاء وسخاء بالرفات الخيالية والتصويرية وقد ظهر ذلك جليا واضحا في بنية قصائده لغة وتصويرا وموسيقى وصاحبته هذه الميزة في كل مراحله الشعرية(المرحلة الإيحائيـة والنضـالية والمرحلـة الثوريـة ومرحلـة مـا بعـد الإسـتقلال) ويحتـل مكانـه سـامية مقدسة في نفسه القرآن الكريم ويمثل في نفسه نهاية السموالذي لا نهاية بعده ".[1]

ومن خلال هذا نجده يوظف اللفظ القرآني بين مستويين هما :

المستوى الأول: توظيف اللفظ القرآني معنى ولفظا

في هذه الحالـة يستوحي الشـاعر القرآن لرسم صورة أوتعبير عن فكرة بـل يعمد إلـى اللآية أوالآيات المستوحاة لإعطاء شعره مضامين متنوعة وهذا ما نجده في قوله:

وفي قدس جناتنا الناضرة وجوه إلى ربها ناظره[2]

فالبيت مأخوذ من قوله تعالى:(**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**)3

وفي قوله:

[1] – محمد ناصر، مفدي زكرياءشاعر النضال والثورة، جمعية التراث، العطف، غرداية، طبع بالمؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، ط02، 1969.

[2] – مفدي زكرياء، إلياذة الجزائر، ص46.

[3] – سورة القيامة، الآيتان 22، 23.

ويحفظ ميزاب لوح الجلال فيصبح ميزاب في اللوح حرفا[1]

فأخذ الشاعر الكلمة ومعناها في قوله تعالى:(بَلْ هُوقُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ)2

حيث يقول الشاعر:

تقدس واديك منبع عزي ومسقط رأسي وإلهام حسي[3]

فالبيت مقتبس من قوله تعالى:**{إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى}**4

وأخرجت الأرض أثقالها فطار بها العلم فوق الخيال[5]

فصدر البيت مأخوذ من قوله تعالى:**{وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا وَقَالَ الإِنْسَانُ مَا لَهَا}**6

المستوى الثاني:توظيف اللفظ القرآني دون مضمونه

هنا يستخدم مفدي زكرياء اللفظ القرآني في غير معناه القرآني ويأتي لها بمعنى آخر مثل قوله: في روعة طبيعة الجزائر:

وسبح لله ما في السموات والأرض ملء شفائف شفا[7]

مأخوذ من قوله تعالى:**{ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ}**8

---

[1] --مفدي زكرياء، إلياذة الجزائر، ص34.

[2] – سورة البروج، ، الآيتان 21، 22.

[3] – مفدي زكرياء، إلياذة الجزائر، ص35.

[4] –سورة طه، الآية 11.

[5] --مفدي زكرياء، إلياذة الجزائر، ص36.

[6] –سورة الزلزلة، الآيتان، 2، 3.

[7] --مفدي زكرياء، إلياذة الجزائر، ص34..

[8] – سورة الحديد، الآية 1.

وقال أيضا:

وتمت بها كلمات الإله، التي وقعت باسمها الواقعه [1]

لقد اقتبس الشاعر لفظ البيت من الآية القرآنية:**{إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ}**[2]

وفي موقع آخر يقول:

ولم ترض بالفحل من قومها فهامت بمن....ما رمى إذ رمى؟ [3]

مأخوذ من قوله تعالى:**(وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى }4**

في كل هذه النماذج نجد هيمنة النص القرآني بلفظه ومعناه فقد تملك خيال الشاعر وهذا الاستنجاد بالآيات القرآنية الكريمة يدل على الحالة النفسية المتألمة المعذبة التي يعشيها مفدي زكرياء مستمدين من آياته البليغة الفريدة العبارة والأفكار.

ومن مميزات اللغة كذلك:

-**الدقة:** "فنعني بها أن الشاعر يختار الكلمة المناسبة للموقف المناسب، وكما قال ابن جني :(مصاقبة الألفاظ لمصاقبة المعاني)سعيا إلى تطابق اللفظ والمعنى "[5]وذلك في قوله:

تأذن ربك ليـــــــــلة قدر وألقى الستار على ألف شهر

وقاله له الشعب :أمرك ربي وقال له الرب :أمرك أمـــري

---

[1] – مفدي زكرياء، إلياذة الجزائر، ص83.

[2] – سورة الواقعة، الآيتان 1، 2.

[3] – مفدي زكرياء، إلياذة الجزائر، ص105..

[4] – سورة الأنفال، الآية 17.

[5] –حواس بري، المرجع السابق، ص336

ودان القصاص فرنسا العجوز، بما اجترحت من خداع ومكر

ولعلع صوت الرصاص يدوى فـــعاف اليراع خرافات حبر

وتأبى المدافع صـــوغ الكلا م، إذا لم يكن من شواظ وجمر [1].

ونلاحظ من خلال هذه الأبيات لجوء الشاعر إلى هذا التوظيف في المواقف العظيمة والأحداث الجسام التي يتخيل لنا التاريخ يتوقف لحظتها إجلالا وروعة، ومن هذه اللحظات لحظة إطلاق أول رصاصة في ليلة الفاتح أول نوفمبر سنة 1954، لنضع حدا للجاهلية التي استمرت قرن وثلث القرن، هذه الليلة التي كانت بزوغ للفجر الحرية فقد شهدت ميلاد الثورة التحريرية المضفرة، ونظرا لعظمتها وجلال شأنها بحيث لم يضاهيها مثل في مخيلة الشاعر، إلا ليلة القدر المباركة تلك ليلة الأرض، تلك الليلة التي هي خير ألف شهر، شهدت تغير مجرى تاريخ البشرية من العبودية إلى الحرية ومن الظلام إلى نور الإسلام، وما تحمله من دلالات تعبر عن مرحلة التغير الإيجابي والخلاص المنتظر كما يصف المجاهدين الذين ناضلوا من أجل وطنهم بالصحابة المقربين.

وعن دقة اختياره للألفاظ يقف الشاعر أمام هذه الأبيات وقفه المندهش المنبهر بروعة هذه الطبيعة وجمالها الأخاذ يبعث فيها الحركة، لأن اللفظة هي التي تحدد شخصية الشاعر وأفكاره، كما تعبر عن حقيقة مشاعره وصدق أحاسيسه وذلك في قوله:

سل الورد يحمل أنفاســـــها لحيدر مثل الحظوظ الـــــبواكر

وأبيار تزهـــــو بقديـــــسها رفائيل يخفى انســـــلال الجآذر

تبـــــاركه أم إفريقيـــــــا على صلوات العــذارى السواحر

ويحتار بلكور في أمـــــــرها فتصخك منـــــه العيون الفواتر

وفي القصبة امتد ليل السهارى ونهر المجرة نـــــــشوان ساهر

[1] – مفدي زكرياء، إلياذة الجزائر، ص69.

وفي ساحة الشهداء تـــــعالى مآذن تجلوعيون البـــــــــصائر[1]

ومع هذا فإن مفدي زكرياء قلما يصف عواطفه اتجاه هذه المناظر الطبيعية بالأفعال (الفعل الماضي، الفعل المضارع والأمر)فالبقية باهرة بمنارها تحمل أنفاسها "لحيدرة"، والأبيار "تزهوبقديسها، الذي يخفي تحت ستار الجآذر ذلك "أم إفريقيا "ويحتار بلكور "في أمر هذه القدسية التي تبارك الخطيئة، فتضحك من سذاجة، وكل هذا بفضل جوهرة الخيال والإبداع لدى الشاعر .

-**الجرس الموسيقي** :"ومن خواص لغة مفدي زكرياء أنها ذات جرس موسيقي يعطي الكلمة مدلولها من خلال التكرار الذي يتعمده الشاعر لحروف أوكلمات بعينها تساعد على توليد المعنى من خلال ما تحدثه من جرس موسيقي بتواليها وتتابعها،[2] بل هي في تنوع وتزايد مع النص والموسيقى لفظا ومعنى.

فقد كرر الشاعر حرف القاف المقلقة في قوله:

وفي باب واديك أعمق ذكـــرى أعيش بأحلامها الزرق دهرا

بها ذاب قلبي، كذوب الرصاص فأوقـــــد قلبي وشعبي جمرا[3]

كما كرر حرف السين أربع مرات في هذا البيت للتأكيد على الحالة النفسية المتألمة لأن التكرار يؤدي وظيفة تعبيرية واضحة في قوله:

كأن لخميس وخمسين نجوى لست وخمسين يوم اجتمعنا[4]

ومثل تكرار الكلمات التي أحدث جرسا موسيقيا في قوله:

---

[1] – مفدي زكرياء، إلياذة الجزائر، ص23.

[2] –حواس بري، المرجع السابق، ص341.

[3] – مفدي زكرياء، إلياذة الجزائر، ص25.

[4] – المصدر نفسه، ص71.

وكيف يقـــــــــوم بنيانه وتقويم أخلاقهما ماســـــتطاعا؟؟

وكيف يصون الأصـالة نشء وقد ساوموه علـــــــيها فباعا؟؟

وكيف ينير الطـــريق شباب وقد طمـس الرجس فيه الشعاعا؟

وكيف يداوي المريض صحيحا وفي قلـــــبه مرض السل شاعا[1]؟

كل ما رأيناه من شواهد تؤكد على أن مفدي استطاع أن يشيع الأوجاء التي أراد التعبير عنها عن الطريق الألفاظ ذات الجرس الموسيقي بحسه المرهف كما تؤكد على دلالة النغم والذوق وإيحاء صوت الكلمات وإعطاءها لونها المعنوي في جملة التصوير بالشعر.

– **قوة اللفظ في قوة المعنى:** ذلك ما نلاحظه في مثل هذه المواقف التعبيرية والتي أشاد من خلالها بشجاعة الثوار حيث يقول:

تبارك شعب تحدى العنادا فصام، وأضرب سبعا شدادا

وآنف أن يستسيغ الحياة تجرعه ذلة واضـــــطهادا

وأقسم أن لا يعيش النهـــار عميلا يـــوفر للبوم زادا

وأن يهجر النوم يلقى المنايا ويبلوالليالي الطوال جلادا.[2]

ومن وحشية المستعمر في قوله:

سكيكدة الـــــــثائرين أعيدي علينا فضائح بـاغ الحقود

أغسطسن عشرون لم ينـسها ويذكرها ألـف ألـف شهيد

وخمس وخمسون في الذكريات جلال يهدهد صـدر الوجود

وعطر للـــــمذابح في ساحها نوافج تلـهم سفر الـخلود

[1] – مفدي زكرياء، إلياذة الجزائر، ص 97.

[2] – المصدر نفسه، ص77.

وتحكي لهذا الـــــــورى قصة مضرجة عن جهاد الأسود[1]

ومن الألفاظ التعاون والتراحم والإتحاد التي تناولت الشعوب العربية في قوله:

فيا مغربا مازجتـــــــــه الدمآ وأجمع في الصرصر العاتيه

وزكاه أطلســــــــنا في القرو ن، فرحنا ندين بوحـــــدانيه

دعوا المغرب الوحدوي يـــــقرر ويرفض مصائرنا البـــــاقيه[2]

من خلال هذه الأبيات نلاحظ أن هذه الألفاظ تساعد المتلقي على إدراكها اعتمادا على الذوق والمعرفة واستعمال التشبيهات والمجازات والزخارف البديعية وذلك لقوة فخامتها ومعانيها كما أن قدرة الشاعر الفنية جعلته يغوض في أعماق المتلقي النفسية وتثير فيه الإحساس والمشاعر بخطورة الثورة من جهة، والدفاع عنها من جهة أخرى، ذلك من خلال ضرب الأمثلة من بطولات التاريخ الإسلامي عبر غزوات الرسول –صلى الله عليه وسلم–وأصحابه.

ثانيا: الأسلوب

لغة: قال صاحب اللسان :ويقال للسطر من النخيل أسلوب، وكل طريق ممتد فهوأسلوب، والأسلوب الطريق والوجه والمذهب، يقال أنتم في أسلوب سوء، والأسلوب الطريق تأخذ فيه، والأسلوب بالضم الفن :يقال أخذ فلان في أساليب من القول أي أفانين منه.[3]

[1] – مفدي زكرياء، إلياذة الجزائر، ص 72.

[2] – المصدر نفسه، ص85.

[3] –حواس بري، المرجع السابق، ص288.

إصطلاحا: الأسلوب هوالذي وحده يجعل الشاعر أوالكاتب صوتا لا صدى، صوتا له ما يميزه عن بقية الأصوات التي نسمعها في الساحة الأدبية.

لأن الأسلوب يعتبر معلما من معالم الشخصية الأدبية [1] ولكل أديب أسلوبه الخاص الذي يميزه عن غيره.

فمن مميزات الأسلوب عند مفدي هي:

– **الأصالة:** إن مفدي زكرياء يعتز بأصالة شعره باستقائه من هذه الروافد التراثية التي تمثل الوجه النفي للحضارة العربية الإسلامية، من أبرزها تدفقا القرآن الكريم لأنه يكتب شعره عن وحي منزل يفجر وعيه وحسه ووجدانه [2] لقد تشبع مفدي زكرياء بالتراث العربي النقي، خاليا من الثقافة الأجنبية وألفاظه بعيدة عن العامية .

كما يقول كامل الشاوي:"أن أسلوبه مفدي مثل ثورته ومثل إرادته عربي صميم "[3]

مثل ذلك في قوله:

[1]– حواس بري، المرجع السابق، ص 323.

[2] – محمد ناصر، المرجع السابق، ص180.

[3] – يحيى الشيخ صالح، شعر الثورة عند مفدي زكرياء –دراسة فنية تحليلية –، دار البعث، الجزائر، 1987، ص379.

كم اندس بين المثقف حركي فأبدل فيه اليقين بشك

فكلمة"حركي": هي كلمة عامية شاعت بين الأوساط الجزائرية، أطلقت على العميل الذي اصطنعته فرنسا لضرب الثورة من الخلف بيد المرتزقة من أبناء البلاد وقد كثر هذا النوع بعد الاستقلال[1].

كما قال أيضا:

وتختال بالميني جوب دلالا وتستعرض المغريات الخفيه

فكلمة الميني: هي كلمة أجنبية تطلق على اللباس القصير للمرأة، وقد دخلت في اللغة بفعل التأثير الاستعماري وهذه الظاهرة قليلة جدا في الإلياذة، بحيث لا يمكن أن تطعن ما ذهبنا إليه من عربية أسلوبه، لأنها مجردة ألفاظ يضعها الشاعر في الهامش مشيرا إلى أصلها الأجنبي مع استعمالها الدارج.

مثل قوله :

وإن زل يوما، تناديه بيكو فأحسب بيكو من البكويه

فقد همش مفدي في إلياذة الجزائر على أن "بيكو" لفظة تستعمل في شتم المسلمين واحتقارهم وخاصة أهل شمال افريقيا، أما البكوية فهي لفظة تشريف في مصر وصاحبها يسمى" بك" وتنطق اللفظة" بيه "[2]

[1] – مفدي زكرياء، إلياذة الجزائر، ص100.

[2] – المصدر نفسه، ص104.

2- المباشرة وطابع الحماسة:

هما سمتان بارزتان في القصيدة الجزائرية خاصة أثناء فترة الثورة، لأنها في حاجة إلى صوت يحمس لها أكثر من حاجتها إلى نغمة تتغنى بها، وربما هذا ما وجده الشعراء ينسجم مع جوالمعارك، ما يبرز تسامحهم في الاحتكام إلى النظرة الفنية المجددة في بناء القصيدة .[1]

ولكن هذا ما رأيناه شائع في أسلوبه الذي يثير تفاعل الجماهير مع مضامينها المتنوعة وإن استعماله لمثل هذه الأساليب ذات الطابع المباشر الخالي من التصوير لأن الظرف يتطلب ذلك فالفترة فترة ثورة لا داعي للتصوير والخيال في ذلك الوقت.

أتى أمرنا صارخـــا فانطلقنا ولذنا بوحـــــدتنا، فانعتقنا

وفاوضــنا القوم في أمـــرنا وأمر سيـــادتنا ....فرفضنا

وقالوا :سنجري عليها اقتــراعا بلا، ونعم، خدعة، فاعترضنا

فرنسا، تناسيت ما ليس ينسى أما في نوفمبر ...كنا اقترعنا

وأجرى علينا الرصاص انتخابا وخضب أوراقنا .....فانتخبنا ؟؟

وقلنا ....وقالـــت لنا الكائنا ت، خذوا حذركم واثبتوا...فثبتنا [2]

لأن المباشرة والحماسة من أبرز الخصائص التي عرف بها شعره، بقدر ما تليق به لغة تملأ الأشداق وتقرع الآذان .

---

[1] – الوناس شعباني، تطور الشعر الجزائري منذ سنة 1945–1980، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دت، ص188–189.

[2] –-مفدي زكرياء، إلياذة الجزائر، ص82.

3- القوة والجزالة: نقصد بها قوة الكلام أي قوة التراكيب وإحكام بناء الجملة، فعند مفدي نجد كلامه محكما متماسكا وفي الجملة تناسق وانسجام بين الألفاظ، وهذا ما يزيد من أسلوبه دلالة وجمالا ومعنى ووضوحا ودقة في قوله:

أمانا، من الخطر الداهم ومن معول قاصف هادم

غزا المذهبيون عقل الشبا ب، بمســـتورد آفن آثم

وزاغوا بهم، دون إسلامهم إلى مذهب ليــس بالسالم

ودسوا شيوعية كالوباء، كما يصرف السم للطاعم

وقالوا التقدم شرع الحيا ة، وكم ركض الحلم بالنائم ؟[1]

4-استحضاره لشخصيات الأنبياء : فمن مميزات أسلوبه استحضاره لشخصيات الأنبياء بكثرة بسبب ارتباطها بالسياق العام للتاريخ العربي الإسلامي، ليستمد منها مشاهد إيمانية في تنوعها وتداخلها بما تحتله من مكانة وقداسة، على قراءة معنى جديد يتناسب مع روح الحدث التاريخي الذي استنفر كوامنه الشعرية ومتناسيا في الوقت نفسه بهذا الحدث الجديد إلى مراتب ومصاف الحدث القديم وهذا كله ما دفع المتلقي المخاطب والشاعر بهذا استطاع إيصال رسالته كاملة بطريقة رائعة ومؤثرة، ومن أبرز الشخصيات الدينية، التي ذكرها في الإلياذة منها شخصية النبي عيسى ومحمد قوله:

وما كان عيسى ظلوما جهولا وكان محمد، يرعى النصارى [2]

أما آدم وحواء فذكرهما في قوله :

[1] – مفدي زكرياء، إلياذة الجزائر، ص 96.

[2] – المصدر نفسه، ص80.

وحذر آدم ظلـــم أخيه وسوى الحظوظ، وأعلى الرؤوسا

وأخرج حواء من رمسها فألهمـــت الروح هذي الرموسا [1]

وهاروت الملك في قوله :

وبابل السحر من وحيها تلقب هاروت بالساحر [2]

وشخصية ثمود وعاد ونوح في قوله :

وأوقفت ركب الزمان طويلا أسائله :عن ثمود ..وعاد ..

وعن قصة المجد ..من عهد نوح وهل ارم .. هي ذات العماد[3]**؟**

وعن شخصية النبي موسى التي يشير إليه من خلال عصاه التي ألقاها فتلقفت سحر السحرة فيقول:

وألقيت في الساحرين عصا ي، تلقف ما يأفكون، بسحري.[4]

وعن شخصية مريم وعيسى ذكرهما في قوله:

وتغضب عيسى المسيح وتبكي على جذع نخلتها مريما [5]

---

[1] – مفدي زكرياء، إلياذة الجزائر، ص 42.

[2] – المصدر نفسه، ص20

[3] – المصدر نفسه، 37.

[4] – المصدر نفسه، ص 115.

[5] – المصدر نفسه، ، ص105.

حيث ذكرها الله تعالى للعبرة والإقتداء بها، لأنها تثير العاطفة بمواقفها الإنسانية وتغذي النفس الإنسانية بمثلها الأخلاقية .

5- **توظيف المصطلحات الإسلامية**: وظف مفدي زكرياء لغة ذات دلالة معجمية دقيقة مستوحاة من التراث الإسلامي، وترتبط ألفاظه بإيحاءات نفسية ووجدانية عديدة منها: كلمة الجهاد في قوله:

وآمن أشبالنا بالجهاد فعافوا الخنوع، وخاضـــــوا الغمارا[1]

كلمة القصاص وما تحمله من دلالت إسلامية :

ودان القصاص فرنسا العجوز، بما اجترحت من خداع ومكر [2]

كلمة التوحيد: وهذا مؤدى ما يتغنى به شاعرنا:

وتمت بها كلمات الإله، التي وقعت باسمها الواقعه [3]

2-الصور الفنية:

تعد الصور الفنية إحدى الدعائم الأساسية التي يعرف بها الشعر بعد الإيقاع، ولأهميتها في العمل الشعري جعلها النقاد والدارسون محط عنايتهم سواء ذلك عند القدماء أوالمحدثون، [4]

[1] مفدي زكرياء، إلياذة الجزائر، ص80.

[2] – المصدر نفسه، ص69.

[3] – المصدر نفسه، ص83.

[4] –حواس بري، المرجع السابق، ص300.

" وهذا ما أدى إلى إهتمام النقاد بدراسة الصورة الفنية يكاد يطغى على إهتماتهم الأخرى كاللغة والموسيقى، ولعل ذلك يعود إلى أهميتها البالغة في القصيدة، يقول كولدرج :الشعر من غير المجاز يصبح كتلة جامدة ذلك لأن الصورة المجازية جزء ضروري من الطاقة التي تمد الشعر بالحياة .[1]

ولا حاجة بنا الى استعراض كل ما قيل في الصور الفنية لأن معظم التعريفات والدراسات تقترب من مفهوم الأمريكي "إزراباوند".حيث قال: "أنها تلك التي تقدم تركيبة عقلية وعاطفية في لحظة من الزمن".[2]

وبذلك فالصور الفنية الناجحة هي التي يسعى الشاعر لأن تكون فيها دمه ونبضه وبصماته، وبذلك تكون كشفا نفسيا جديدا وليس مزيدا لمعرفة المعروف.[3]

اتكأ مفدي زكرياء على التصوير البياني الذي يثير الإحساس ويدغدغ الوجدان ويستقطب الأذهان ومن صور التشبيه البليغ حيث يقول الشاعر :

سل الأطلس الفرد عن جرجرا تعالى يـــشد السما بالثرى

فيختال كبرا تنـــــــــــافسه ثقجدا فلا يرجـــع القهقرى

تلون وجه الســـــــماء به فأصبح أزرقـــــــها أخضرا

[1] –عمر بوقرورة، الغربة والحنين في الشعر الجزائري الحديث (1945، 1962)، منشورات جامعة باتنة، الجزائر، ص237.

[2] –عز الدين إسماعيل، التفسير النفسي للأدب، مكتبة غريب، دار غريب للطباعة، ط4، القاهرة، 1997، ص63.

[3] – إيليا الحلاوي فن الوصف، منشورات دار الشرق الجديد، دط، دت، ص100.

وتجثو الثلوج على قدميه، خشوعا فتسخر منها الذرى

هوالأطلس الأزلـــــي الذي قضى العمر يصنع أسد الشرى[1]

حيث شبه الأطلس بإنسان يخاطبه ويسأله إذ حذف المشبه به، وترك لازم يدل عليه وهو""سل"، كما نلاحظ أن الشاعر في هذه الأبيات يتحدث عن عيد الأطلس الذي يصل السماء بالأرض حيث شبه لونها الأزرق أخضر بخضرة الغابة والأزهار والنبات، دلالة على تكامل خلق الله، أن لاعوج فيها كما أن مفدي زكرياء جعل الحياة تجري في الجوامد الصماء وشديد الولوع بالزخرفة والتشكيل ووصف الأشياء من الخارج دون محاولة التعاطف معها.

كما ينقل لنا الشاعر صورة بيانية حزينة يوظفها في شعره، تتعلق بمشاهد من الثورة الجزائر المجيدة التي راح ضحيتها مليون ونصف مليون شهيد في قوله:

سبحنا على لجج من دمانا وللنصر رحنا نسوق السفينا

وثرنا نفجر نـــــارا ونورا ونصنع من صلبنا الثــائرينا

ونلهم ثورتنا مبتـــــغانا فتلهم ثورتنا العالـــــمينا

وتسخر جبهتنا بالبـــلايا فنسخر بالظلم والظـــالمينا[2]

فإذا اعتاد الناس السباحة على الشواطئ فإن الشعب الجزائري تعلم كيف يسبح على دمه، فإذا كان التبرع بالأموال، فإن الشعب الجزائري تبرع بالأرواح حيث نقلت الصورة الفنية هنا موقفا عظيما من الأحداث الجسام التي يخيل فيها التاريخ يتوقف لحظتها إجلالا

[1] – مفدي زكرياء، إلياذة الجزائر، ص24.

[2] – المصدر نفسه، ص70.

وروعة حيث جمعت بين متناقضين السباحة والدم، وهذا ما يؤكد مدى قدره الشاعر التعبيرية على مدى اتساع خيالية وحسه المرهف وتنفيسا لمكبوتات المستبعدين إذ عمد الشاعر في مثل هذه الحالات على تأكيد صوت الماضي في العمل الشعري.

وإعتمد كثيرا على الصور القرآنية ذات البيان الفصيح المقنع منها :

التكرار– حيث يقول الشاعر:

وتمت بها كلمات الإله، التي وقعت باسمها الواقعيه[1]

نلاحظ أن الشاعر لما أراد أن يلح على معنى من المعاني القوية ليغرسها في نفس المتلقي راح تصويره إلى ما يستمدها من القرآن الكريم في قوله تعالى:**(إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ)**.[2]

كما نلاحظ أن حرف القاف والعين من الأصوات الإنفجارية القوية التي تحدث صدى في نفس المستمع كما أن تكرار الحدث (الوقع) تكرر بالفعل (وقعت)، والمصدر المؤكد للمعنى، مما يدل على أن قوة الحدث يمثله قوة التركيب اللغوي البلاغي هذا ما يدل على قدرة الشاعر في التصوير المناسب للحدث المناسب.

الكناية– يقول الشاعر:

ولم ترض بالفحل من قومها فهامت بمن....مارمى إذ رمى[3]

"مارمى إذرمى" واردة في القرآن الكريم في قوله تعالى:

---

[1] – مفدي زكرياء، إلياذة الجزائر، ص83.

[2] – سورة الواقعة، الآية 1، 2.

[3] – مفدي زكرياء، إلياذة الجزائر، ص105.

(وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى)[1]، ككناية عن الكفار، وقد وظفها الشاعرللتعبير عن الرجل الفرنسي وهي صفة مهينة حيث أبدلت الجزائرية العربية المسلمة، الرجل الجزائري المسلم بالفرنسي الذي يخالف دينهاوأخلاقها ومبادئها وهامت به ربما من باب التحرر والتحضر بدورها أولغرض آخر.[2]

ومن أبرز الصورة التي استلهم منها مفدي زكرياء القرآن الكريم في قوله تعالى:

(وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا) [3] التي تعبر عن غربته وحنينه إلى بيئته الأصلية "الصحراء " وطبيعتها الفريدة المملوءة بالذكريات ومرتع الصبا ومساكن الأهل والأحبة متغنيا بفضائها الرحب وجمالها الخلاب حيث يقول الشاعر:

ألا ...ما لهذا الحساب ...ومالي؟ وصحراؤنا ....نبع هذا الجمال

هنا مهبط الوحي للكائنات حيال النخيل .....وبين الرمال .

ومهد الرسالات للعالمين ونور الهدى، ومصب الكمال

هنا العبقريات والمعجزا ت، وصرح الشموخ وعرش الجلال

تبادلنا الشمس إشعاعها ويلهمنا الصفو، نور الهلال

ونعدو فنسبق أحلامنا ونهز أمن وثبات الغزال

وجنبنا الغدر ...ماء الغدير وحذرنا، الظل نهج الظلال

وعودنا الصدق ...راعي المواشي وعلمنا الصبر ...صبر الجمال

[1] – سورة الأنفال، الآية 17.

[2] – نسيمة زمالي، المرجع السابق، ص41.

[3] – سورة مريم، الآية 25.

توفر للشـــــــــــــــعب أقداره وتكفي الجزائر.....ذل السؤال ؟ [1]

لأن الصورة في الآية الكريمة توحي بالأمن والإطمئنان للوطن .

ونجد الصورة الفنية عنده تمتاز بالتكرار والوضوح، فهي في عمومها تكاد تكون مطابقة للأحداث ومواكبة للإضطرابات النفسية، كما أن للعاطفة دور أساسي في خصوصيات ومميزات هذه الصورة لإثراء مضامينها .

3-الموسيقى الشعرية :

بمرور الزمن وتقادم الأحوال والأحداث أصبحت الموسيقى الشعرية عنصرا إلزاميا هاما من عناصره الأساسية، وأداة من أعظم الأدوات التي ينشئ على دعائمها الشاعر هندسة بناء قصائده، ثم هي من ناحية أخرى تمثل المعيار الحقيقي من المعايير التي تميز الشعر عن النثر وإن لم تكن هي المعيار الوحيد بينهما.[2]

بمجرد ذكر الطابع الملحمي نتوقع منطقيا وجود نمط موسيقى معبر، ومن خلال هذا تعتبر الموسيقى عنصر من العناصر المهمة في الشعر التي تبعث على الراحة وإزالة الملل والرتابة في حياة الإنسان، وهي في الحقيقة مجموعة من الأصوات التي يتألف من ضرباتها الموقعة نغم يلمس المشاعر ومن إيقاعها لحن يهز أوتار القلوب[3].

لأنها ليست زخرفة تضاف إليه، بل هي وسيلة من أبرز وسائل الإيحاء وأقدرها على التعبير عن كل ما هوعميق وخفي في عالم النفس وفي أغوارها، مما لا يكون في وسع

[1] – مفدي زكرياء، إلياذة الجزائر، ص36.

[2] – علي عشري زايد، عن بناء القصيدة العربية الحديثة، دار الفصحى، القاهرة، 1978، ص 162.

[3] – حواس بري، المرجع السابق، ص275.

ومقدرة الكلام على التعبير والإفصاح لذا فهي من أقوى وسائل الإيحاء تأثيرا وسلطانا على النفس وأعماقها تأثيرا فيها، بل هي من بنية الشعر لدى أية أمة من الأمم .[1]

كما يرى الدكتور إبراهيم أنيس :أن للشعر نواحي عدة للجمال لكن أسرعها إلى نفوسنا ما فيه من جرس الألفاظ وإنسجام في التوالي المقاطع، وتردد بعضها بقدر معين، وكل هذا ما نسميه بموسيقى الشعر .[2]

فالموسيقى إذ ليست هي محور الشعر فحسب، وإنما يشرط إلى جانبها الإنفعال وصدق التجربة [3]، لأن التشكيل الموسيقي في الإلياذة يقوم على نوعين متباينين هما: الموسيقى الخارجية والداخلية.

أ-**الموسيقى الخارجية**: "هي التي تعكس شخصية الشاعر في التجديد أوالتقليد ما سار عليه غيره من الشعراء القدماء "[4]

كما تحتوي إلياذة الجزائر على ألف بيت وبيت 1001، خلد تاريخ الجزائر وبطولات رجالها، وما زاد من روعة الموسيقى تلك اللازمة التي انتقاها لفظا ووزنا ومعنى وما أبدته من صدق الإنتماء والروح الجماعة وعقد العزم على تحقيق الأمنيات تلك اللازمة التي تذكر في ختام كل جزء، أي في كل عشرة أبيات لبدل تكرارها على الإصرار والعزم على المواصلة .

[1] – عبد الحميد حسين، الأصول الفنية للأدب، مكتبة أنجلو المصرية، القاهرة، ، ط 2، 1964، ص 23.

[2] – إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر العربي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ط3، 1965، ص226.

[3] –حواس بري، المرجع السابق، ص276.

[4] – المرجع نفسه، ص288.

كما يمكن أن نقول:(بأن هذه اللازمة سوى أنها وصلة تريح القارئ أوالمنشد وتهيئة للانتقال إلى النشيد اللاحق، أوهي الخيط الرابط الذي يشد مجموع المقاطع إلى بعضها وإذا اجتهد بعضهم فلا يضيف على ما سبق سوى أن اللازمة في الملحمة بمقام الأنشودة في المسرح الشعري تتكرر لتوكيد المعنى السابق ولترك الجوالعام على كل أجزاء النص، وهي تشبه ما كان القدماء يطلقون عليه "إسم الراوي "[1].

وهي كتالي :

شغلنا الورى، وملأنا الدنا

بشعر نرتله كالصلاة

تسابيحه من حنايا الجزائر

التي أسسها الشاعر منذ البداية على مفهوم التعالي والتقديس والطهر والروحانية الطاغية، ومهما أسندت اللازمة المتكررة من وظائف شكلية، في الجانب الإيقاعي أوفي تحقيق الإنسجام وربط أجزاء النص وغيرها، فإن ذلك لا يبرر أن يهمل القارئ الأبعاد الملحمية التي حرس الشاعر على تأكيدها في اللازمة .[2]

واعتمد الشاعر في نظمها على بحر المتقارب، إذ يشكل حوالي ثمانية وتسعين بالمائة من مجموعها، لأنه بحر صاف يكثر فيه التسكين الذي يساعد على حدة التعبير، أما تفعيلاته الثمانية، فتساعد على تنوع المعاني وكثرتها. [3]

[1] –دفاتر المخبر الشعرية الجزائرية، دراسات في الشعرية الجزائرية، جامعة المسيلة، العدد الأول، مارس 2009، ص99.

[2] – المرجع نفسه، ص98.

[3] – بليحيا الطاهر، المرجع السابق، ص54.

وقد عرف بحر المتقارب منذ القديم بخفة وقعه، إذ يلائم الحركة الدورانية السريعة وذلك لمرونته ومناسبته لجميع الأغراض الحماسية والوصفية السريعة وذلك من خلال تفعيلاته التي تحدث وقعا تناغميا رائعا :

فعولن، فعولن، فعولن، فعولن فعولن، فعولن، فعولن، فعولن .

كما استخدم بحرين آخرين هما الكامل والوسيط .

وقد خضعت الإلياذة إلى أوزان الخليل في القصيدة العمودية دون الحيد عنها، فقد التزم القافية والروي، وقد نوع فيها حسب الحاجة لذلك كما أنه اعتمد الردف أحيانا وأهمله أحيانا أخرى، دون السقوط في عيب من عيوب القافية، فلا ايطاء ولا تضمين ولا إقواء بل يحترم هذه القوانين ويسير على سنن الخليل كما هي مسطرة.[1]

وأكثر نسبة وردودا لحرف القافية هو :حرف (الدال،)و(النون)، و(الميم)، بنسبة واحدة تقريبا، كما نالت قافية (الهاء) إهتمام مفدي زكرياء خلافا لغير من الشعراء من الناحية الصوتية، لأنها تتناسب مع مضامين الأنين والجروح فهويحمل حالة الإضطراب النفسي الحاد والتأثير البليغ على السامع في قوله :

وتذكر ثورتنا العارمه بطولات، سيدتي فاطمه

يفجر بركانه جرجـــرا فترجف باريس والعاصمه[2]

أما حرف الروي فيه الثبات حيث أن الشاعر اعتمد على حرف الروي بمعنى أن كل مشهد كان يخضع لحرف مغاير وقد يعود من جديد بعد فترة مخالفا لوقعة الأول.

[1] – نسيمة زمالي، المرجع السابق، ص18.

[2] – مفدي زكرياء، إلياذة الجزائر، ص57.

ب/الموسيقى الداخلية:

الموسيقى الداخلية: هي التي تعكس شخصية الشاعر داخل العمل الفني في سر تفوقه أوإخفاقه في تعامله مع اللغة داخل الإطار الخارجي.

فهي هذا الإنسجام الصوتي الداخلي الذي ينبع من هذا التوافق الموسيقي بين الكلمات ودلالتها حينا أوبين الكلمات بعضها بعض حينا آخر، أوقل هذا الإنسجام الصوتي الذي يحققه الأسلوب الشعري من خلال النظم وجودة الرصف علي نحوما يعبر أبوهلال العسكري عبد القاهر الجرجاني[1].

لقد اهتزت نفسية الشاعر مفدي في الكثير من المواقف لاسيما الحوادث التي شهدتها الجزائر أثناء الإحتلال الفرنسي ومن أبرزها حوادث الثامن ماي 1945 فهي تعتبر من أضخم المجازر التي ارتكبها الغزاة عبر حياة البشر وما خلفته من نتائج وخيمه على المجتمع الجزائري من دمار وخراب وجرح وقتل وتشريد وتعذيب يتمثل ذلك في قوله:

فيا أربعين وخمـــــسا أعيدي فضـــــــائح جند غبي بليد
وآثام أحلاس جـــــيش عميل عديم الحيـــآ كضمير اليهود
وياذكريات الدماء الـــــــغوالي أفيضى جلالـــك ملء نشيدي
ويالعنات الســـــــــماء انزلي صواعق فــوق الظلوم الحقود
ويا زهرة زرعـــــــــتها دمانا وفتحنها بالصـــــباح الجديد
ألا صمخي مهــجات الضحايا بخراطة المـــجد ربض الأسود
تنافخك عـــــــــموشة الخالد ين، عبيرا فيخجل عطر الورود
وهزي بعزتنا في بنى عزيز المغاوير صدر الوجود
وتيهي بمن شـــــــيدوا للبقآ ومن كتـــــبوا صفحات الخلود

[1] – حواس بري، المرجع السابق، ص 288.

ومن قرروا للبلاد المصير، بنورالحجى، وبنار الوقود[1]

نلاحظ في الأبيات انعكاس نفسية الشاعر في موسيقاه الداخلية إذ حفلت الأبيات بحرف الدال كروي ونبرته الشعرية كما نعرف لا تألف الهمس أوإيقاع الصمت بل خاصيته هي الصخب المتعالى والصوت الحاد كما كشف عن نفسية الشاعر المتأسية وقد تجلى ذلك في كلمات: {بليد، اليهود، نشيدي، الحقود، الجديد، الأسود، الورود، الوجود، الخلود، الوقود} ولقد أكد لنا ذلك الجوالنفسي لبعض الألفاظ الأخرى مثل: (فضائح، الحيآ، الدماء، صواعق، الظلوم، الضحايا)، التي توحي بالعنف والقتل والتشرد.

ولقد وفق الشاعر في إختيار الكلمات التي توفر الإنسجام الصوتي الذي ندركه من خلال ألفاظه غليظة شديدة النبرة قوية الإحساس لايتخللها رقيق الكلام ولا عذبة بالمجزرة الرهيبة والدليل على ذلك العلاقة القائمة بين المعنى والموسيقى.

من خلال دراستنا الفنية عبر إلياذة الجزائر نصل إلى أن لغته ذات النبرة الحادة، المصاحبة لزخم من الإيحاءات الدالة، ولغة القرآن الكريم خاصة بالإضافة إلى أن أسلوبه واضحا ودقيقا وجزلا، يميل إلى التدقيق ورسم الجزئيات، فأبكتنا نغمته الرصاصية، وأخرستنا قوة بيانة، أحسسنا من داخلنا أننا نوناوش جبلا عظيما لا بداية له ولا نهاية، فهوشاعر متميز بأصالته العريقة، كما إستطاع الجمع بين الموسيقى الداخلية والخارجية لأنها تساعدنا على معرفة مدى صدق الشاعر في عواطفه، ومدى معايشته لتجارب التي يعبر عنها، وهكذا تتجلى فاعلية الشاعر الإبداعية وطاقته الفنية مع النصوص التراثية التي جسدها من روحه ونفسه، ارتبطت أكثر بالروافد الدينية

[1] -مفدي زكرياء، إلياذة الجزائر، ص67.

والمجال مفتوح أمام القراء للكشف عن ميزات وطاقات شعرية أخرى لحامل اللواء الشعري للملحمة الجزائرية الكبرى.

خاتمة:

هذا ما وفقت إلى جمعه في هذه الدراسة التي انتفعت منها، وأملي أن ينتفع بها غيري وأتمنى أن تكون تطلعات لآفاق مستقبلية ناجحة، والحمد لله الذي بنعمة الصالحات الشكر له على توفيقه، توصلت إلى بعض النتائج من خلال هذه الدراسة وهي كالتالي :

- يجب إدراج الشعر الثوري في مختلف المقررات والبرامج، وعدم التفريط فيه لأنه منبع أصالتنا، ورنين ثورتنا في أسماع الناشئين.
- الملمحة جنس أدبي قائم بذاته له مقومات وخصائص متعارف عليها عبر التاريخ.
- مفدي زكرياء شاعر ذو شخصية قوية تمتاز بملكات شعرية، ومقدرة لغوية على تصدير الإحساس، ورسم المواقف من خلال ما قدمه من إبداع في الثوريات والملحميات هذا ما جعل منه شاعرا ذا شهرة واسعة، وفحلا من فحول الشعراء الجزائريين، وكانت فلذة كبده حبه وعشقه لوطنه الذي ظل وفيا لتراث أمته، وملتزما بقضايا أمتة، لم يكن مقلدا بل كان يهمس في ظواهر وأحداث التاريخ ليقترب بين الماضي المجيد والحاضر التعيس.
- القيمة الثورية والفكرية والفنية التي تمتاز بها الإلياذة، وما تحمله من ذكريات في سجل تاريخ الجزائر المجيد التي بين من خلالها الشاعر جغرافية الجزائر والإبداع الإلهي، ثم ينتقل إلى الحديث عن تاريخ الجزائر بدءا من العصر القديم إلى العصر الحديث والمعاصر فلكل عصر أحداث وأمجاد وأبطال تشهد لهم أعمال خالدة وقوة تحرك، ورابطة تجمع، ونور يهدي، وعطر ينعش، كل ما يتركه العظماء من ميراث هي أعمال وأفكار نعتز بها، ونعتبر منها ونقتدي بها .

بالإضافة إلى الآثار الوخيمة التي تركها المستعمر كسم القاتل ينتشر في عضد المجتمع الجزائري، وخاصة الفئة الشبابية، وعن الأوضاع السيئة التي عاشتها الجزائر أثناء فترة الاستعمار الفرنسي، والتي تمنى الشاعر أن تزول، وأن يسير المجتمع الجزائري على هدي الرسالة الإسلامية النبيلة.

خاتمة:

أما فيما يخص القيمة الفنية للإلياذة تمتاز باللغة الثورية الصاخبة ذات الإيحاءات الدالة وخاصة لغة القرآن الكريم لمالها من مميزات كالدقة والجرس الموسيقي وقوة اللفظ في قوة المعنى، كما أن أسلوبه دقيقا وجزلا وواضحا يمتاز بالأصالة والمباشرة وطابع الحماسة والقوة الجزالة واستحضاره لشخصيات الأنبياء وتوظيفه لمصطلحات إسلامية، أما الصورة الفنية فكانت قوية طريفة ومطابقة للاضطرابات النفسية، إضافة إلى الموسيقى الشعرية التي تساعدنا على معرفة مدى صدق الشاعر في عواطفه ومعايشته للتجارب التي يعبر عنها.

وخير ما نختم به قول جمال الدين الأفغاني: "لا عزة لقوم لا تاريخ لهم، ولا تاريخ لقوم إذا لم يقم منه أساطين تحمي وتحي آثار رجال تاريخها، فتعمل عملهم، وتنسج على منوالهم، وهذا كله يتوقف على تعليم وطني بدايته الوطن، ووسطه الوطن، وغايته الوطن..."، فإن وفقت فمن الله، وإن كان غير ذلك غمنا نفسنا ومن الشيطان، والله نسأل العون والسداد أنه على ذلك قدير وبالإجابة جدير.

قائمة المصادر والمراجع:

- ✓ **القرآن الكريم .**
- ✓ **الحديث النبوي الشريف، صحيح مسلم، ج 4.**

❖ **المصادر:**

1. المتنبي، الديوان، دار الجيل، د.ط، د.ت.

2. مفدي زكرياء، إلياذة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط1، الجزائر، 1987.

❖ **المعاجم:**

1.ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ج 5، د.ط، 1991.

❖ **المراجع:**

1.إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر العربي، مكتبة الأنجلوالمصرية، القاهرة، ط03، 1965، ص226.

2.أبوالقاسم خمار، بين ثورة شعر وشعر الثورة، دراسة نقدية، جمعية الإمتاع والمؤسسة، د.ط، 2006.

3.بلحيا الطاهر، تأملات في إلياذة الجزائر لمفدي زكرياء، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر د.ط، د.ت.

4. حسن فتح الباب، ثورة الجزائر في إبداع شعر اء مصر، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 2005.

5.حواس بري، شعر مفدي زكريا ء–دراسة وتقويم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ط، د.ت.

6.سارة حسين جابري، أعذب قصائد مفدي زكرياء، دار العوادي، د.ط، 2014 .

7.صالح خرفي، الشعر الجزائري الحديث، الشركة الوطنية للطباعة والنشر، الجزائر، د.ط، د –ت.

8.عباس محمود العقاد، اللغة الشاعرة، مزايا الفن والتعبير في اللغة العربية، دار غريب للطباعة، القاهرة، د.ط، د.ت.

9.عبد الحميد حسين، الأصول الفنية للأدب، مكتبة أنجلوالمصرية، القاهرة، ط02، 1964.

10.عزالدين إسماعيل، الأدب وفنونه، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ط، د.ت.

11.عزالدين إسماعيل، التفسير النفسي للأدب، مكتبة غريب، دار غريب للطباعة، ط4، القاهرة، 1997.

12.عشراتي سليمان، الشخصية الجزائرية (الأرضية التاريخية والمحددات الحضارية)، ديوان المطبوعات الجامعية، د.ط، 2009.

13.علي عشري الزايد، عن بناء القصيدة العربية الحديثة، دار الفصحى، القاهرة، 1978.

14.عمر بوقرورة، الغربة والحنين في الشعر الجزائري الحد(1945، 1962)، منشورات جامعة باتنة، الجزائر.

15.محفوظ كحوال، الأجناس الأدبية، دار نوميديا، قسنطينة، د.ط، 2007.

16.محفوظ كحوال، فن الملاحم –الأصول، النشأة، التطور، أود يسة هوميروس، دار نوميديا للطباعة، قسنطينة، د.ط، 2009.

17.محمد رمضان الجربي، الأدب المقارن، دار الهدى، الجزائر، 2002.

18.محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار العودة، بيروت، ط1، 1982 .

19.محمد ناصر، مفدي زكرياء .شاعر النضال والثورة، جمعية التراث، العطف، غرداية، طبع بالمؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، ط02، 1969.

20.مفدي زكرياء، ديوان اللهب المقدس ، طبع بالمؤسسة الوطنية للفنون الأدبية، الجزائر.

21.نسيمه زمالي، قراءة في إلياذة الجزائر لمفدي زكرياء، دار الهدى، الجزائر، د.ط، 2012 .

22. الوناس شعباني، تطور الشعر الجزائري منذ سنة 1945.1980، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دت.

23.يحي الشيخ الصالح، شعر الثورة عند مفدي زكرياء – دراسة فنية تحليلية –، دار البعث، الجزائر، 1987.

❖ **الرسائل الجامعية:**

1. حمة دحماني، ظاهرة الغربة في شعر مفدي زكرياء، مذكرة الماجستير، جامعة منتوري "قسنطينة "، 2005، 2006.

❖ **المجلات:**

2. جمال فوغالي، صوت الثورة الجزائرية لمفدي زكرياء، مجلة آمال، الجزائر العدد5، أكتوبر 2009.

3. خليدة تومي، نوفمبر هويتنا الثقافية، مجلة آمال، وزارة الثقافة، الجزائر، العدد5، أكتوبر 2009.

4. دفاتر مخبر الشعرية الجزائرية، دراسات في الشعرية الجزائرية، جامعة المسيلة، العدد الأول، مارس 2009.

5. محمد شوقي أمين، الملاحم بين اللغة والأدب، مجلة عالم الفكر، وزارة الإعلام، الكويت، مجلة 16، ع01، أفريل مايو، يونيو1985.

فهرس الموضوعات

مقدمة أ-ب

مدخل

1- تعريف الملحمة **4**

أ- الملحمة لغة **4**

ب- الملحمة اصطلاحا **5**

2-خصائص الملحمة **5-6**

3-لمحة عن إلياذة الجزائر . **6-8**

4-لمحة عن حياة الشاعر -مفدي زكرياء- **8-10**

الفصل الأول:دراسة موضوعية لإلياذة الجزائر .

1-جغرافية الجزائر والإبداع الإلهي . **12-18**

2-بطولات الجزائر عبر التاريخ . **19-44**

أ-تاريخ الجزائر القديم . **19**

ب-تاريخ الجزائر الوسيط. **22**

ج-تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر. **25**

3-رصد الأوضاع الاجتماعية ونقدها. **36**

الفصل الثاني: دراسة فنية لإلياذة الجزائر .

1-اللغة والأسلوب **46-59**

1-1اللغة **46**

أ-المستوى الأول :توظيف اللفظ القرآني معنى ولفظا . **47**

ب-المستوى الثاني :توظيف اللفظ القرآني دون مضمونه . **48**

ج- مميزات اللغة . **49**

1-2 الأسلوب **53**

أ-لغة. **53**

ب-إصطلاحا . **54**

ج -مميزات الأسلوب . **54**

2-الصورة الفنية **59-64**

3-الموسيقى الشعرية: **64-65**
أ-الموسيقى الخارجية. **65**
ب-الموسيقى الداخلية. **67**
خاتمة **72-73**
قائمة المصادر والمرجع **75-78**
ملخص
الفهرس

ملخص:

يمثل شاعر الثورة الجزائرية " مفدي زكرياء " ظاهرة كبرى في حركة الشعر الجزائري الحديث، فقد استقطبت اهتمام العديد من الدارسين والكتاب ذلك من خلال دراستهم المتعددة و طروحاتهم المختلفة، ورغم هذه الدراسات القيمة إلا أن ذلك لم يكن كافيا لأن أدب الكاتب يحتل مساحة واسعة لا يمكن الإحاطة بها من جميع الاتجاهات.

والرؤى التي سبقت ذكرها تثبت أن إلياذة الجزائر لاتزال ميدانا واسعا في حاجة الى دراسة اكثر لأنها تتحدث عن تاريخ الجزائر المجيد، فهو الحصن المحصن للأجيال الذي يحمل الكثير من الأحزان والأفراح .

ولقد كانت رحلتنا في الملحمة الجزائرية الكبرى التي استطعت من خلالها أن اسجل مظاهر المعاناة والتشرد والقتل والدمار والخراب التي خلفها الاستعمار الفرنسي من جهة، وقوة إبداعه الفنية من جهة أخرى، ومات غريب عن الأهل والوطن، وبقي شعره وثيقة إيديولوجية وأنشودة للأجيال وحقائق للتاريخ ونقلا للصورة الحية من هذه الحقبة التاريخية للأجيال القادمة وترسيخها في أذهانهم ليزدادوا اعتزازا وفخرا وحماسة للتطلع نحو المستقبل المشرق واخذ العبرة منه والاقتداء بها.

The summary

"mofdi zakaria", the poet of algérian révolution, represents a great phenomenon in the movement of modern algerian poem, He attracted the interest of many scholars and writers through their several studies and different thesis, there are many valuable studies about the poens of this poet, but they are not enough because the writer's literature occupies a wide area in which we can not speak about it from all sides

The visions which have already mentioned, prove that" Iliada of Algeria" is still a wide domain that needs were study, because it speaks about the glorions history of Algeria, and it is like a solid fortress to all generrations which carries a lot of happy and sorrow ful moments.

Through our trip in the "grand algeiran epic", I could record a lot of appearaces of sufferance, vagrancy, killing, destruction and damage which the franch colonialisn left from one side ; and the power of the poet's artistic creaction (innovatin) from another side, even through he died so far from his country and relatives, his poens stay so provd and faith ful and to be as an enthusiasn to look forw and to the bright future, Besides, the comprehension of this epic gives cimmense opportunities to learn a lot of lessons and follow its ieads and befils.

Mercy of god be upon "mofdi Zakaia" and all the Algerian wertyrs, To his innocent and pure spirit, to all those who cry when they hear the words of "Mofdi Zakaia" and his senstive tone.

مقدمـــة

مدخل

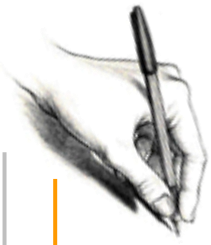

1-تعريف الملحمة :

أ-لغة

ب-اصطلاحا

2-خصائص الملحمة .

3-لمحة عن إلياذة الجزائر.

4-لمحة عن حياة الشاعر -مفدي زكرياء-

الفصـــل الأول

دراسة موضوعية لإلياذة الجزائر

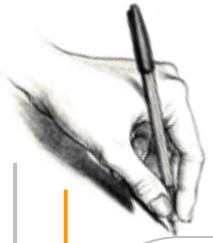

1-1 جغرافية الجزائر والإبداع الإلهي.

1-2-بطولات الجزائر عبر التاريخ (التاريخ القديم ،التاريخ الوسيط ،التاريخ الحديث والمعاصر)

1-3- رصد الأوضاع الاجتماعية ونقدها

-خلاصة الفصل

الفصـــل الثاني

دراسة فنية لإليازة الجزائر

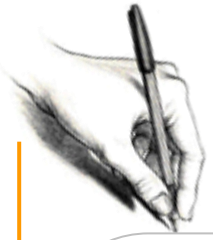

1-1 اللغة والأسلوب

2-1 الصور الفنية

3-1 الموسيقى الشعرية

خلاصة الفصل

خـــاتمة

قائمة المصادر المراجع

قائمـة الملاحق

فهرس الموضوعات